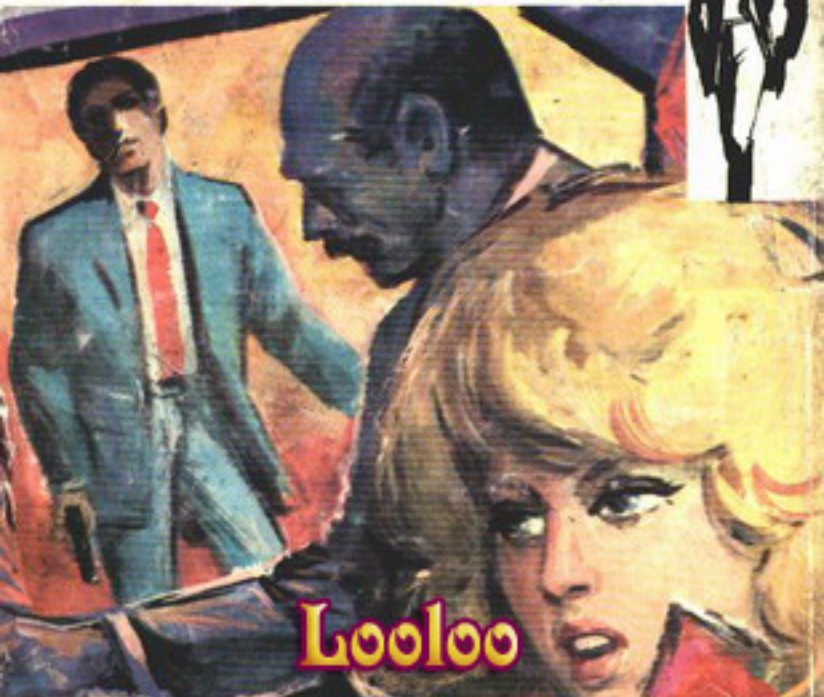


روايات مصريه للجيب

رجل المستحيل

# الجاسوس



Looloo

[www.helmelarab.net](http://www.helmelarab.net)

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

## ١ - الاستقبال ..

هبطت الطائرة القادمة من (القاهرة) ، في ذلك الصباح ، في مطار (أورلى) - (باريس) ، وانزلت عجلتها بعض الوقت على ممر الهبوط ، قبل أن تستقر واقفة ، ولم تكذب (سونيا جراهام) تلمح (كلوديا موريس) على سلم الطائرة ، حتى تهللت أساريرها ، وهى تلوح لها بكفها فى حرارة ، من شرفة الانتظار ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة ، وهى تسترجع فى ذهنها كل الأحداث السابقة ..

تذكرت كيف بدأ الأمر منذ بضعة أشهر ، حينما جاءت للعيش فى (باريس) ، بعد أن لفظها (الموساد) من صفوفه ، إثر عملية فاشلة ، كان الفوز فيها لغريمها اللدود ، رجل المخابرات المصرى (أدهم صبرى) ، حيث التقت بزميلة أخرى مطرودة ، تدعى (جوزفين مونييه) ، كانت تعمل بعد طردها مديرة للعلاقات العامة ، فى شركة دعاية ضخمة ، تملكها المليونيرة الفرنسية المغامرة (كلوديا موريس) ، وتربطها علاقة وثيقة بملك العصابات فى (باريس) ، (مارسيل بيكر) ، واتفق رأى الأفعين ، (سونيا) ، التى اتخذت لنفسها اسم

( برجيت فرانسوا ) ، و ( جوزفين ) ، على أن تقوما بعمل قوى ، يقنع ( الموساد ) بإعادتهما إلى صفوفه ، وبعد محاولات بارعة شيطانية ، ولدت منظمة جاسوسية خاصة ، بتزعمها الأربعة ، ( سونيا ) ، و ( جوزفين ) ، و ( كلوديا ) ، و ( مارسيل ) ، وأطلقوا عليها اسم ( ملائكة السلام ) ، ونجحت عملياتهم الأولى في ( موسكو ) ، ثم اعترض ( أدهم صبرى ) ، وزميله ( منى ) طريقهم ، واشتعل الصراع .. وتذكرت ( سونيا ) كيف نجحوا في الإيقاع بـ ( أدهم ) و ( منى ) في فخٍ مُعكم ، وكيف ألغاهما ( مارسيل ) فريسةً لأسد إفريقيا ضخم ، أطلق عليه اسم ( نابليون ) ، ولكن ( أدهم ) نجح في قتل ( نابليون ) بنذيه العاريتين ، وفر مع ( منى ) من وكر ( مارسيل ) ، وتسلل في مضرع ( جوزفين ) ، في نفس الوقت الذي سافرت فيه ( كلوديا ) إلى ( مصر ) ، لتبدأ العملية الثانية للمنظمة ، التي أطلق عليها ( أدهم ) اسم ( ملائكة الجحيم ) ، حيث نجحت في زرع جاسوس بالغ الخطورة ، في هيئة التصنيع الحربي المصرية ، يعمل جاهداً على انتزاع سرّ التعديلات الجديدة ، التي يُخبرها خبراء التصنيع الحربي المصريون ، في المقاتلة ( ف - ٢٠ ) ، المعروفة باسم ( تاجير شارك ) ..

- وأطلق ( مارسيل ) رجالة خلف ( أدهم ) ، وهو يظن أن ( أدهم ) هو الذي قتل ( جوزفين ) ، وفي الوقت ذاته اتهمت ( سونيا ) ( أدهم ) بسرقة منزلها ، والاعتداء عليها بالضرب ، فانطلق رجال الشرطة يسعون خلفه ، ووقع ( أدهم ) بين شقي الرخى ، وأطبق الجميع الحصار حوله ، حتى نجح ( مارسيل ) ، بخطة بارعة محكمة ، في الإيقاع به ، فألقت الشرطة الفرنسية القبض عليه ، وتم إيداعه سجن ( باريس ) ، انتظاراً لحاكمته ..

وأخذ رجال ( مارسيل ) في السجن ، يدسون لـ ( أدهم ) مائدة خاصة في قهوته ، التي يتناولها — طبقاً لتعليمات السجن — كل صباح ومساء ، مما أوهن قواه ، وأضعفه ، وأصابه باضطراب فكري ، جعله مشوش العقل ، عاجزاً عن القتال ..

وهنا أصدر ( مارسيل ) أوامره بقتل ( أدهم ) ، داخل السجن ، قبل مغيب شمس اليوم\* .  
والتست ابتسامة ( سونيا ) في تلذذ وتشف ، حينما وصلت ذكرياتها إلى هذه النقطة ، فقد بات من المحتم ألا تغرب شمس اليوم ، إلا ويكون ( أدهم صبرى ) مجرد ذكرى ..

(\*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزءين ، الأول ، والثاني ، ( ملائكة الجحيم ) و ( ملك العصابات ) .. الفامرتين رقم (٦١) و (٦٢) .

ذكرى رجل كان يحمل يومًا لقب ( رجل المستحيل ) ..  
انتزعها من ذكرياتها صوت ( كلوديا ) ، وهى تقبل عليها  
متلهة الأسارير ، هائفة فى سعادة :

.. لقد نجحنا يا عزيزتى ( برجيت ) .. لقد كانت عملية  
رائعة ، وتم كل شيء على النحو الذى خططناه .  
أشارت إليها ( سونيا ) أن تخفض صوتها ، وهى تقول فى  
صرامة :

— خذارى ( كلوديا ) .. هل يروق لك لضح أسرارنا على  
الملا ؟

ارتسمت على شففى ( كلوديا ) ابتسامة عابثة ، وهى  
تخفض من صوتها ، قائلة فى مرح :

— لا تلمى دوز المعلمة النصح يا عزيزتى ( برجيت ) ..  
لقد انتهى كل شيء بنجاح ، وأنا أكره المعلمات منذ طفولتى .  
زمنجرت ( سونيا ) على نحو بدا متناقضًا مع جمالها الفئان ،  
وهى تهمس فى خفى :

— لم ينته شيء بعد يا ( كلوديا ) ، مادام رجلنا لم يعد  
بالتصميمات المصرىة ، حتى الآن .

أطلقت ( كلوديا ) ضحكة مرحة ، وهى تقول :

— سيفعل يا عزيزتى ( برجيت ) .. أؤكد لك أنه  
سيفعل .

قادتها ( سونيا ) إلى خارج المطار فى سرعة ، وهى تصرخ  
فى أعماق نفسها : أن هذه المليونيرة العابثة ستكون السبب فى  
تخطيط المنظمة ، لو واصلت استنارها بكل قواعد السرية على  
هذا النحو ، وقفزت إلى مقعد قيادة سيارتها ، وأدارت  
المحرك ، وانتظرت حتى احتلت ( كلوديا ) المقعد المجاور لها ،  
ثم انطلقت بالسيارة إلى منزل هذه الأخيرة ..

وأشعلت ( كلوديا ) سيجارتها ، دون أن تعنى بتقديم مثلها  
إلى ( سونيا ) ، ونفتت دُخانها فى تلذذ ، قبل أن تسترخى فى  
مقعدتها ، وقد شعرت بالارتياح لعودتها إلى ( باريس ) ،  
وسألت ( سونيا ) فى تحول :

— كيف حال ( جوزفين ) و ( مارسيل ) ؟ .. هل بلغتكما  
أخبار نجاحى ؟

أجابتها ( سونيا ) فى لهجة صارمة ، ودون أن تبعد عينيها  
عن الطريق :

— لقد لقيت ( جوزفين ) مضرعتها .  
اعتدلت ( كلوديا ) فى مجلسها بحركة حادة ، وألصقت  
عيناها فى دُغرو دُغشة ، واحتبس دُخان سيجارتها فى صدرها ،

فانطلقت تسعل مرّتين أو ثلاث مرّات في قوّة ، حتى احتقن وجهها في شدّة ، ودمعت عيناها ، وهي تقول في صوت صاحب مُخْتَبِق :

— كيف ؟! ومتى ؟!.. لقد ثرّكتها في خير حال !  
كانت الكراهية تَبْدُو واضحة في ملامح ( سونيا ) وصوتها ، وهي تقول :

— لقد قتلها ( أدهم صبرى ) .  
مرّة أخرى اتسعت عينا ( كلوديا ) في دُغْر ودهشة ، وهي تهتف :

— ( أدهم صبرى ) ؟!.. ألم يفترسه ( نابليون ) ؟  
قصّت عليها ( سونيا ) تفاصيل ما حدث ، وبالغت في إضفاء صفّى الخسّة والتذالّة على ( أدهم ) ، لتجعله يبدو في صورة وخشٍر مفترس ، أو سفّاح بلا قلب ، حتى وصلت إلى أوامر ( مارسيل ) بقتله في السجن ، واستمعت إليها ( كلوديا ) مشدّوهة ، حتى انتهت ( سونيا ) من قصّتها ، فغادرت ( كلوديا ) ثلّقى ظهرها على مسند مقعدها ، وهي تغمغم :

— إنه يستحق هذا .. لقد كانت ( جوزفين ) رفيقة وجيلة .

ومضت لخطّة من الصّمت ، قبل أن تردف في صوت هامس :

— وهو أيضًا وسمٍ للغاية .

عقدت ( سونيا ) حاجبيها في خنق ، وهي تقول :

— هل وقعت في حبه ؟

أطلقت ( كلوديا ) ضحكة عابثة ، كأنما لم تتلق منذ لحظات نبأ مصرع ( جوزفين ) ، وابتسمت في الحُبّ ، وهي تقول :

— إنه يستحق في الواقع ، حتى أئنّى أسفة لأنّه خَصِم لنا .  
ثم هزّت كتفيها في لامبالاة ، وعادت تنفث دُخانَ سيجارتها ، وهي تسأل ( سونيا ) في هدوء .

— ومتى يمّ قتلّه ؟

تألّقت عينا ( سونيا ) في شراسة ، وهي تقول في تشفّ :

— قبل مغيب الشمس يا ( كلوديا ) .. سيتبى ( أدهم صبرى ) إلى الأبد ، قبل مغيب شمس اليوم .

سابقة، كقتاله مع ( ناهليون )، وظهور ( سرجى كوروبوف ) المفاجئ، ومضرع ( جوزفين )، وأعماق نهر ( السين ) ..

أفكار مشوشة، متخبطة، تذهب بقدرات ( رجل المستحيل )، وتسلبه لقبه الذى يحز به، ويفخر بحمله .. ولكن تلك المادّة اللعينة، لم تنجح فى إضعاف كل قدرات ( رجل المستحيل ) ..

لقد أبقت له الإرادة ..

إرادة فولاذية، صلبة، عبيدة ..

إرادة قادرة على زحزحة الجبال، ومواجهة الأعاصير .. ولكن هل تنجح الإرادة وحدها ؟ .. هل ؟ ..

\*\*\*

اتسم حارس حجرة الطعام فى سخرية، وهو يتأمل ( أدهم )، الذى بدا شاردًا، مضطربًا، شاحبًا، ثم مال على أذن السجين المستول عن وجبات الطعام، وهمس متشفيًا : — يبدو أنك لن تلتقى أية صعوبة فى القضاء على هذا الرجل، فقد آتت قهوتك مفعولها، وهاهو ذا يبدو كسكر مدمن .

ألقى السجين نظرة سريعة على ( أدهم )، ثم اتسم، قائلاً :

من العسير على رجل اغتاد حياة الخطر، وألفها، وعاش حياة حافلة بالتضال والقتال، مثل ( أدهم صبرى )، أن يستسلم لذلك الزمن الذى دبّ فى جسده، بعد أن تناول قذح القهوة، الذى يحوى المادّة المخدّرة، هذا الصباح، ولكن تلك المادّة اللعينة كانت تجعل عقله مضطربًا مشوشًا، حتى أنه كان يذل جهدًا خارقًا تجرّد التفكير، ومحاولة تقييم الأمور ..

كان قد كشف فى اللحظة الأخيرة، بعد أن انتهى من تناول قهوته، أنه فريسة لمادّة تسلبه قدراته وحسن إدراكه، وكان يعلم أن بقاءه على هذا الوضع يجعله لقمة سائغة لأولئك الأوغاد، الذين يعملون جاهدين للقضاء عليه، بعد أن وغدّمهم زعيمهم ( مارسيل بيكر ) — ملك العصابات — بمكافأة تبلغ ثلاثة ملايين فرنك، ثمنا لرأسه، ولكن ذهنه كان يأبى أن ينسّق الأمر ويدرسه، ويتخذ الوسيلة الدفاعية المناسبة، للحفاظ على حياته، حتى يذهب أثر تلك المادّة الملعونة ..

وفى كل مرة يحاول تركيز ذهنه فى هذا الأمر، كان يجد عقله منحدراً — على الرغم منه — فى استعادة مشاهد وذكريات

— لم يعد قتله يقلقنى يا عزيزى ، ولكننى أبحث عن وسيلة مناسبة ، تبدو فى هيئة حادثٍ عارض ، أو شجار بين سجينين تسبب فى مصرع أحدهما صدفة ، فالزعم يكره حوادث القتل المفصوحة ، وما تجلبه من تحقيقات وتحرّيات .  
عقد الحارس حاجيه مفكراً ، ثم لم يلبث أن غمغم فى حماس :

— ما رأيك فى أن يسقط فى إناء الطبخ ، و ..... ؟

قاطعه السجين فى هدوء :

— كلاً يا صديقى .. لقد عثرت على الوسيلة المناسبة .

سأله الحارس فى اهتمام :

— كيف ؟

ابتسم السجين فى دهاء ، وهو يقول :

— لقد تشاجر الرجل هذا الصباح مع ( شارل ) ، وحطّم أنفه ، وثلاثاً أو أربعاً من أسنانه ، ولا ريب أن ( شارل ) يشعر نحوه الآن بكراهية وبغض لاحتدّهما ، ولو أننا نجحنا فى إرسال هذا الرجل إلى قسم التنظيف ، حيث يعمل ( شارل ) ، سيكون من السهل أن ندفع ( شارل ) لقتله ، فى حين نبقى نحن بعيداً عن الصورة .

غمغم الحارس محترضاً :

— وكيف يقتله ( شارل ) فى حجرة التنظيف ؟

أجابه السجين فى لهجة رجل ضجر :

— ألا تعلم كيف يمّ اعتصار النياب قبل تجفيفها ؟ .. إنها

توضع تحت مكابس ضخمة قوية .. هل فهمت ؟

تألّقت عينا الحارس ، وهو يقول :

— يا للشيطان !!! .. لقد فهمتك بالطبع .

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

— ولكن كيف يمكن نقله للعمل فى قسم التنظيف ؟

أجابه السجين فى هدوء :

— إنها مهمتك يا صديقى .

ثم حدّجه بنظرة نارية ، وهو يستطرد :

— إن مسيو ( مارسيل ) يمتحك هذا الراتب الشهرى

الضخم ، الذى يبلغ خمسة أضعاف راتبك لتفعل هذا .. أليس

كذلك ؟

امتقع وجه الحارس ، ونذت من بين شففيه ضحكة

مضطربة ، وهو يغمغم :

— آه .. بالطبع يا صديقى .. بالطبع .

وفجأة .. ارتفعت في المكان صرخة ألم قوية ، وانطلقت  
 العيون كلها إلى مصدرها ، ورأى الجميع ( أدهم ) يتلوى  
 ألماً ، وهو يمسك معدته بذراعيه ، فهتف الحارس في جزع :  
 — هل .. هل دَسْتُ له السم في القهوة ؟ .. اسمع  
 يا هذا .. إننى المسئول عن قاعة الطعام ، وأكره أن أتورط في  
 مثل هذه الأمور و .....

قاطمه الحارس في خشونه :

— صَـة يارجل .. إننى لم أَدَسْ له سوى تلك المادَّة ، التى  
 أرسلها مسيو ( مارسيل ) ، وبنفس المقدار الذى أوصى به .  
 ثم استطرد في لهجة أقرب إلى السخرية :  
 — ولكن يبدو أن معدة صديقنا أضعف من أن تحمل هذا .  
 خذْه الحارس بنظرة متشككة ، ثم اندفع إلى قاعة  
 الطعام ، صائحاً :

— هيا .. احملوه إلى المستشفى بلا إبطاء .. هيا .  
 ووقف يتابع في قلق باقى المساجين ، وهم يحملون ( أدهم  
 صبرى ) إلى مستشفى السجن في سرعة ، في حين غمغم  
 السجن في سخرية :

— لا فائدة أيها المصرى .. لن تغرب ضحك اليوم إلا وأنت



ورأى الجميع ( أدهم ) يتلوى ألماً ، وهو يمسك معدته بذراعيه ..

جثة هامدة .. فلا أخذ يمكنه أن يخالف أوامر (مارسيل  
يكر) .

\*\*\*

مضت نصف ساعة فقط ، قبل أن يعود (أدهم صبرى)  
من مستشفى السجن ، وقد بدا أكثر ضعفاً وبهالكاً من ذى  
قبل ، حتى أنه بدا مُتسلماً تماماً ، وهم يقودونه إلى قسم  
التطيف ، حيث استقبله (شارل) بابتسامة شرسة ، تمتلئ  
بالكراهية ، كشفت عن صف أسنانه الأمامية المكسورة ،  
وانحنى سجين حجرة الطعام على أذن (شارل) ، هامساً في  
خبط :

— هاهو ذا يعود إليك لقمة سائغة يا عزيزى (شارل) ،  
لا أظنك ستسمح له بالسخرية منك مرة أخرى ، بعدما فعله  
بك هذا الصباح !

زجر (شارل) في خشونة وغضب ، وهو يغمغم :  
— سأقتله .

أجاب السجين في دهاء ، محاولاً إثارة حفيده وغضبه :  
— لا أظنك تجرؤ .

ومضت عينا (شارل) بمزيج من الوحشية والثورة  
والغضب ، وهو يهتف :

— سترى .

هز السجين كفيه في سخرية ، ليشعل المزيد من أعصاب  
(شارل) الثائرة ، ثم ألجأ في هدوء إلى الخارج ، حيث استقبله  
حارس حجرة الطعام ، وهو يسأله في شغف :

— هل سيفعل ؟

أجاب السجين في ثقة :

— لست أشك في ذلك .. إن أمثال (شارل) ، من  
ضخام الأجساد وضعاف العقول ، يفقدون سيطرتهم على  
عقولهم في سهولة أمام الغضب والكراهية ، ومن النادر أن  
يتنازل أحدهم عن ثأره .

عاد الحارس يسأله في قلق :

— ولكن ماذا فعل ذلك المصرى في المستشفى ؟ .. أخشى  
أن يكونوا قد أجروا له عملية غسيل معوى ، فخلّص من  
القهوة ، وما تحويه من مائة .

ابتسم السجين في لحبث ، وهو يقول :

— لقد تأكدت أنهم لم يفعلوا يا صديقى .. لقد كانت بعض  
التقلصات المعوية العادية ، ولم يحتاج الأمر لأكثر من حقتين  
صغيرتين ، ثم إن هذه المادة تُمصّ بسرعة ، وتذهب إلى دمائه  
بعد تناولها بلحظات ، ولن ينقذه الغسيل المعوى منها .

والسعت ابتسامته ، وهو يُردف في ثقة :

— اطمئن يا صديقي .. سيلقى ذلك المصرى مصرعه ،  
بعد ساعة واحدة على الأكثر .

\*\*\*

تظاهر ( شارل ) بالانهماك في عمله ، وهو يختلس نظرات  
مغممة بالكراهية إلى ( أدهم ) ، الذى بدأ واهنا متهاكنا ،  
وهو ينقل أكوام الملابس المبللة إلى المكبس الضخم ، الذى يهبط  
ليحتصرها اعتصارًا ، تلتفظ ما بها من ماء ، قبل أن يرتفع  
المكبس مرة أخرى ، وينقلها ( أدهم ) إلى عربة خاصة ، يتولى  
أمرها بعد ذلك سجين آخر ، ينقلها إلى آلة التجفيف ..

وفى كل لحظة تمضى ، كانت الكراهية تتصاعد وتتضاعف  
في أعماق ( شارل ) ، وتخرج بغضبه ، فتشتعل في أعماقه نيران  
الثورة والسخط ، حتى حانت لحظة ابتعدت فيها عيون كل  
الحراس عن الرجلين ( أدهم ) و ( شارل ) ، وهنا ترك  
( شارل ) عمله ، واندفع بكل قوته نحو ( أدهم ) ، في اللحظة  
التي بدأ فيها المكبس الضخم هبوطه ..

كانت دفعة واحدة من جسد ( شارل ) الضخم ، تكفى

لللقاء ( أدهم ) أسفل المكبس ، الذى سحق عظامه ،  
ويطحن جسده طحنا بلا شك ..

وارتفعت صيحات الفرع والذهشة من أفواه جميع العاملين  
في قسم التنظيف ، مختلطة بصرخة ألم هائلة ، وصوت عظام  
تسحق ، فاندفع حارس حجرة الطعام إلى قسم التنظيف ، وهو  
يشتف :

— ماذا حدث ؟

استقبله رئيس حراس قسم التنظيف شاحب الوجه ، وهو  
يقول في اضطراب :

— حادث بشع يازميل .. لقد لقي أحد السجناء  
مصرعه ، لقد طحنه المكبس الكبير طحنا .

\*\*\*



### ٣ — دماء في السجن ..

استقبلت (منى توفيق) النقيب (حلمى) ، أحد رجال مكتب المخابرات المصرى فى (باريس) ، بلهفة شديدة ، وهى تسأله :

— هل عثرت عليه يا (حلمى) ؟

بدا النقيب (حلمى) شديد القلق والشحوب ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، فى منزل الرائد (وليد) ، ويغمغم فى لهجة آسفة :

— نعم .. لقد عرفت أين هو .

هتفت (منى) بكل ما يحتمل فى جسدها من جزع ولوعة واضطراب ، وقلقت :

— أين يا (حلمى) ؟ .. أين المقدم (أدهم صبرى) ؟

أشاح (حلمى) بوجهه ، ليخفى ذلك الألم المرتسم فى ملامحه ، وهو يقول :

— فى السجن .. فى سجن باريس .

اتسعت عينا الرائد (وليد) ، وهو يحذق فى وجه (حلمى) غير مصدق ، فى حين غارت الدماء من وجه

(منى) حتى بات شبيهاً بوجوه الموتى ، وتركت جسدها يسقط على أقرب مقعد إليها ، وهى تغمغم :

— كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه قد تورط فى شيء ما .

اندفع (وليد) يسأله فى انفعال :

— وكيف حدث هذا ؟

قص (حلمى) عليهما ما توصل إليه ، من أن (سونيا) قد اتهمت (أدهم) بسرقة منزلها ، والاعتداء عليها بالضرب ، وأعد له رجال الشرطة كميناً ، بعد مكاملة من مجهول ، ونجح فى الإيقاع به ، وتم نقله إلى مركز الشرطة الرئيسى ، حيث تعرفته (سونيا) فى عرض عام ، تم نقله بعدها إلى سجن (باريس) ، تمهيداً لحاكمته ..

ولم يكد (حلمى) ينتهى من قصته ، حتى هتفت (منى) :

— ولكن كيف استسلم (أدهم) لهذا ؟ .. لماذا لم يحاول

الفرار ؟

قلب (حلمى) كنفه فى خيرة ، وهو يقول :

— لست أدرى .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى قلق واهتمام واضحين :

— ولكنهم يقولون إنه كان يبدو مضطرباً مشوشاً ، عاجزاً

عن التحرك والتفكير ، كما لو أنه واقع تحت تأثير مخدر قوى .

ألمعت عينا ( منى ) لحظة ، ثم ففزت واقفة ، وهي تهتف :

— يا إلهي !! أراهن أن هذا ما حدث بالفعل ، فمن المستحيل أن يستسلم ( أدهم ) لكل ذلك ، ما لم يكن عاجزاً عن مواجهته .

واجتاحها انفعال شديد ، وهي تستطرد ملوَّحة بكفئها :  
— لقد دسُّوا له هذا انخدُّر بوسيلة ما ، وهذا يعنى أنه يتعرَّض لخطر بالغ ، فليس أهرن عليهم من التخلص منه داخل السجن ، وهو تحت تأثير انخدُّر .

وبلغ انفعالها ذروته ، وهي تهتف :  
— لا بد أن نسعى بكل قوتنا لإنقاذه ، قبل أن ينجحوا في قتله .

عقد ( وليد ) حاجبيه في شدة ، في حين أطرق ( حلمي ) برأسه ، وهو يغمغم في حزن وألم شديدين :  
— ما لم يكن هذا قد حدث بالفعل .

كان من الممكن أن تمرَّ عبارة ( حلمي ) كجملة اعتراضية عادية ، لولا تلك النبوة الدامعة التي حملتها ، والتي جعلت ( وليد ) و ( منى ) يتطلَّعان إليه في شحوب وذهول ، قبل أن

يصلُّ صوت ( منى ) غيَّر شفتيها باهتاً ، مختقفاً بالقلق والجزع ، وهي تقول :

— ماذا تعنى ؟.. ماذا حدث ؟

تحوَّلت تلك النبوة الدامعة في صوته إلى قطرة دمع حقيقية ، انسابت من عينيه في سكون ، وهو يقول في صوت حمل كل حزن الدنيا ومرارتها :

— لقد لقي أحد السجناء مصرعه في السجن منذ قليل ،  
ويبدو أنه .. أنه .....

صرخت ( منى ) :  
— ( أدهم ) ؟!.. هذا مستحيل !! مستحيل !!  
مستحيل !!

\*\*\*

بذل حارس حجرة الطعام جهداً خارقاً ، ليخفى سعادته بنجاح الخطة ، وهو ينقل بصره بين الحُرَّاس الذين يتحرَّكون في كل مكان ، في عصبية واضحة ، والمساجين الذين التقَّوا في حلقة واسعة ، وكل منهم يروى للآخرين ما شاهده مما حدث ، والكل يشتركون في صفة واحدة .. الوجوه الشاحبة ، والانتفعال الشديد ..

وهز حارس حجرة الطعام رأسه ، وهو يتصنع الأسف ،  
قائلاً :

— يا للمأساة !! .. إنها أول مرة يحدث فيها هذا هنا .  
أجابته رئيس الحراس بعينين زائغتين ، ووجه شاحب :  
— إنه أبشع حادث رأيته في حياتي .. لقد طُخت الآلة  
طختاً .. صدقتي ، إن هذا المشهد لن يُنسى من ذاكرتي أبداً ،  
ولا تلك الصرخة التي أطلقها قبل مصرعه .  
كان من الواضح أن المشهد سيبدو بشعاً للغاية ، إلا أن  
حارس حجرة الطعام لم يستطع منع عينيه من التطلع إلى  
المكبس ، ثم لم يلبث أن شعر بقلبه يتفض ، حيناً وقعت عيناه  
على جسد مطحون ، أشبه بكومة من لحم مفري ، وعظام  
مفتة ، وسط بركة من الدماء ، مِزَّ بينها في صعوبة زئ  
السجناء الرمادى ، أو ما تبقى منه ..

وعاد رئيس الحراس يقول في اضطراب :  
— إننى لم أعد أجروء على الاقتراب من هذا المكبس .. لقد  
اغتنصر المسكين على الرغم من قوته وعنفوانه .  
عاد حارس حجرة الطعام يتصنع الأسف والإشفاق ، وهو  
يغمغم :

— من المُعزَّن أن هذا المسكين لم يفض على وجوده في  
السجن إلا يوم واحد .

حدَّق رئيس الحراس في وجهه بنظرة عجيبة ، كأنما كان  
يتطلع إلى معنوه أو مخبؤل ، وهو يبتف :  
— لم يفض ماذا ؟ .. أى هُراء تقول ؟  
ارتبك الحارس ، وهو يغمغم :  
— هذا صحيح .. إن ذلك المصرى لم يدخل إلى السجن  
إلا البارحة فحسب .

صاح رئيس الحراس في خنق :  
— مصرى .. أى مصرى هذا ؟  
اتسعت عينا الحارس ، وهو يتمم في تلفهم كامل :  
— القليل !.. أليس .. أليس هو الذى ..... ؟  
قاطعته رئيس الحراس في جذة :  
— أى شيطان أوحى إليك بهذه الفكرة ؟ .. إن الذى لقي  
مصرعه تحت المكبس هو ( شارل ) .. ( شارل ) الخنزير  
الضخم .  
جمحظت عينا الحارس في دُعر وذهل ، وحدَّق في وجه  
رئيس الحراس لحظة ، ثم اندفع يقتحم حلقة المساجين ،

وتجمدت الدماء في عروقه ، وهو يحدق في وجه ( أدهم ) ،  
الذى يتوسط الحلقة ، وقد بدا يحمل نفس الاضطراب  
والشوش العقلي ، وهو يقول للآخرين :

— لست أدري ما حدث ؟! .. لقد انحنيت لألتقط بعض  
التياب المبتلة ، حينما شعرت به يندفع إلى جوارى ، ويسقط  
تحت المكبس ، ولقد حاولت إنقاذه ، ولكن المكبس الضخم  
كان أسرع مني .. صدقوني .. لست أدري ماذا حدث  
بالضبط !

\*\*\*

اتسعت عينا الحارس في مزيج من الدعر والذهول ، وهو  
يفغمم :

— مستحيل !! مستحيل !!

واستدارت إليه عيون السجناء في دهشة ، ولكن عينيه  
تركزت على عيني ( أدهم ) وحيل إليه أنه يلمح فيهما غة  
ساخرة ، قبل أن تعودا لاضطرابهما ، فعاد أدراجيه ، وهو  
يتربح من فرط المفاجأة ، وغادر قسم التنظيف ، وتعلق بذراع  
السجين المستول عن وجبات الطعام ، وهو يقول في صوت  
متحشرج مرتجف :

— لقد نجيا .. إنني لم أر من هو أكثر حظاً منه !... ( شارل )  
هو الذى قيل .

اتسعت عينا السجين ، وهو يفغمم :  
— يا للشيطان !!

تشبث الحارس بذراعه ، وهو يتف في دُعر :  
— ماذا نفعل ؟ .. ماذا نفعل ؟

أبعد السجين كفه في ازدراء ، وهو يقول في جدّة :  
— لن نتوقف .. لقد أمر مسيو ( مارسيل ) بقتله قبل  
الغروب ، ولن يمكننا مخالفة أوامره .

هتف الحارس :

— ولكن كيف ؟

برقت عينا السجين في شراسة ، وهو يقول :  
— مستجاهل شروط السّريّة والتخفى .. ستقتل ذلك  
الشيطان المصرى المحظوظ على أى نحو ، ودون تردد .

عاد الحارس يتف في دُعر :

— كيف ؟

خدجه السجين بنظرة احتقار ، وهو يقول :  
— بالحناجر أيها الرجل .. سنمزق ذلك الشيطان المصرى  
بحناجرنا حتى الموت .

\*\*\*

## ٤ - نِصْل، الموت ..

ألقى ( مارسيل بيكر ) سِمْعَة هاتفه في سِخْط واضح ،  
فسأته ( سونيا ) في عِصِيَّة :  
— ماذا هناك ؟

أشاح بوجهه ، وهو يقول في خَنْق وِغْضَب :  
— لقد أفلت ذلك الشيطان المصري من أوَّل محاولة لقتله ،  
بِمِصَادِفَة عَجِيَّة .

أطلقت ( كلوديا ) ضحكة عابثة ساخرة ، وهي ترتشف  
كأس ( الكونياك ) ، التي تخملها بين راحتيها ، وغمغمت في  
لهجة أقرب إلى الإعجاب :-  
— ياله من رجل !!

خدجها ( مارسيل ) و ( سونيا ) بنظرة حانقة ، فيما هتف  
الأوَّل في غِضَب :

— لقد حدث ذلك بالمِصَادِفَة البِحْثَة يا ( كلوديا ) .  
غمغمت ( سونيا ) في شَك :

— مِصَادِفَة ؟ .. آنت والآن من أنه لم يستعد قدرته على  
القتال ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول في جِدَّة :

— تمام الثقة ، إن المادة التي أضيفت إلى قهوته هذا الصباح  
قويَّة ، لا يزول أثرها قبل عشر ساعات .  
سأته في تَوَثُّر :

— ألا يمكنه أن ينشئ تأثيرها بتقنيها مثلاً ؟  
هز رأسه نفياً في عِصِيَّة ، وهو يقول :  
— مستحيل !! إنها تتغلغل في عروقه خلال ربع ساعة  
فقط .

عادت تغمغم في شَك :

— ربُّما ..

ثم سأته في قلق :

— هل يمكنك أن تعلم ما الذي فعله ( أدهم صبرى ) ،  
منذ تناول قهوة الصباح ، وحتى حادث نجاته من محاولة القتل ؟  
هتف وكأنه يستكر سؤاها ويرفضه :  
— بالطبع .. يمكنني أن أحصى دقائق قلبه أيضاً ، قبل أن  
يتوقَّف عن النبض .

ورفع سِمْعَة هاتفه بحركة حاذئة ، وهو يطلب رقم أحد  
رجالها في السجن ، فعقدت ( سونيا ) حاجبها ، وهي تقول :

— دَعَهُمْ لَا يَمْلُونَ تَفْصِيلاً وَاحِداً ، مَهْما بدا لَهُم تَافَهُها  
عَدِيمُ الْقِيَمَةِ .

وَتَنَهَّدَتْ فِي حَقِّ ، قَبْلَ أَنْ تَسْتَطِرِدَ فِي سَخَطٍ :  
— لَا بَدَّ أَنْ نَعْلَمَ مَاذَا فَعَلَ هَذَا الشَّيْطَانُ !

\* \* \*

تَطَّلَعَ السَّجِينُ ، الَّذِي يَعْمَلُ لِحَسَابِ ( مَارْسِيلِ ) ، فِي حَقِّ  
نَحْوِ ( أَدهم ) ، الَّذِي اتَّحَى رَكْنًا قَصِيصًا فِي فَنَاءِ السَّجْنِ ، شَارِداً  
مَتِهَالِكًا ، بَعْدَ أَنْ انْتَهَتْ إِدَارَةُ السَّجْنِ مِنْ إِجْرَاءِ التَّحْقِيقِ اللَّازِمِ  
مَعَهُ ، إِثْرَ حَادِثِ مَصْرَعِ ( شَارْلِ ) ، وَقَالَ مُوجَّهًا حَدِيثَهُ  
لِأَرْبَعَةِ رِجَالٍ يَحِيطُونَ بِهِ :

— أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَقُومُوا بِعَمَلِيَةٍ سَرِيعَةٍ وَنَظِيفَةٍ .. إِنَّهُ يَجْلِسُ  
وَحْدَهُ هُنَاكَ ، وَالْمَادَّةُ الَّتِي تَنَاوَلُهَا فِي قَهْوَتِهِ تَجْعَلُهُ ضَعِيفًا وَاهِنًا ،  
مَشْوُوشَ الْفِكْرِ ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَحِيطُوا بِهِ ، ثُمَّ تَطْعَمُوهُ بِبِضَالِ  
خَنَاجِرِكُمْ فِي آنٍ وَاحِدٍ ، وَتَبْتَعِدُونَ فِي سَرْعَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَلْحَظَ  
أَحَدٌ مَا حَدَثَ .

غَمِغَمَ أَحَدُ الرِّجَالِ الْأَرْبَعَةِ فِي لَهْجَةٍ سَاخِرَةٍ :  
— سَأُفْصِلُ رَأْسَهُ عَنْ جَسَدِهِ لَوْ أَرَدْتُ ، مُقَابِلَ أَلْفِ فَرَنْكٍ  
إِضَافِيَةٍ .

عَقْدَ السَّجِينِ حَاجِيَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي صِرَامَةٍ :  
— سَتَحْصُلُ عَلَى ضِيقِهَا لَوْ تَمَّتِ الْعَمَلِيَةُ بِنَجَاحٍ ، دُونَ  
الْحَاجَةِ إِلَى فَصْلِ رَأْسِهِ .. اطْعَمِهِ فِي عُنُقِهِ فَحَسْبُ ، وَعَلَى  
الْآخَرِينَ أَنْ يَطْعَمُونَهُ فِي قَلْبِهِ وَمَعْدَتِهِ وَمُؤَخَّرَةِ عُنُقِهِ .. وَلِيَقُمْ  
كُلُّ مَنْكُمْ بِعَمَلِهِ وَحْدَهُ ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَتِمَّ الطَّعَنَاتُ الْأَرْبَعُ فِي وَقْتٍ  
وَاحِدٍ .

غَمِغَمَ رَجُلٌ آخَرُ فِي تَلَذُّذٍ ، وَكَأَنَّمَا يَجِدُ مَتْعَةً فِي إِرَاقَةِ  
الدَّمَاءِ :

— سَتَفْعَلُ يَا صَدِيقِي .. اطمئن .

وَاتَّجَهَ الْأَرْبَعَةُ بِأَجْسَادِهِمُ الضَّخْمَةِ فِي هَدْوٍ ، إِلَى حَيْثُ  
يَجْلِسُ ( أَدهم ) ، الَّذِي تَطَّلَعُ إِلَيْهِمْ فِي حَمُولٍ ، وَهُمْ يَحِيطُونَ  
بِهِ ، وَفَجْأَةً انْتَزَعَ كُلُّ مَنْهُمْ خَنَجَرَهُ ، وَاتَّحَمَّتْ بِضَالِ الْمَوْتِ  
الْأَرْبَعَةُ ، وَهِيَ تَتَجَهَّى نَحْوَ جَسَدِ ( أَدهم ) فِي سَرْعَةٍ ، وَهَرَقَتْ  
عَيْنَا السَّجِينِ فِي ظَفَرٍ ..

\* \* \*

اسْتَمَعَ ( مَارْسِيلِ ) فِي إِهْتِمَامٍ إِلَى تَقْرِيرِ حَارِسِ السَّجْنِ ، عَنْ  
تَحَرُّكَاتِ ( أَدهم ) ، ثُمَّ وَضَعَ سَمَاعَةَ الْهَاتِفِ ، وَاتَّفَتَ إِلَى  
( سُونِيَا ) ، قَائِلًا :

— لم يحدث شيء ذو قيمة يا عزيزتي ( برجيت ) ، فلقد تناول المصري قهوته ، التي تحوى الخمر ، ثم أصابه بعض المصغى المنغوى ، ونقل إلى مستشفى السجن و... قاطعته ( سونيا ) فى حدة :

— مستشفى السجن ؟! هل أجروا له غسلا معويا ؟ اجسم ، وهو يقول :

— لا يا عزيزتي ( برجيت ) .. إنهم لم يفعلوا ، وما كان ليجدى ، وإنما فحصه طبيب مستشفى السجن ، وأعطاه حقنتين من مضادات التلصص فحسب .

ارتسم الجزع على وجه ( سونيا ) ، وهى تقول :

— وهل عرفت نوع المادة التى حقنه بها الطبيب ؟ أطلق ( مارسيل ) ضحكة هادئة ، وهو يقول :

— اطمئنى يا عزيزتي ( برجيت ) .. لقد استعلمت عن هذه النقطة بالذات .. إن ( أدهم صبرى ) لم يقترح نوع المادة ، فالطبيب هو الذى فعل ، ولقد حقنه بمادة مضادة للتلصص بالفعل .

عادت ( سونيا ) تسأله ، وقد تحولت لهجتها إلى العصبية المفرطة :

— ما نوع المادة يا ( مارسيل ) ؟

تطلع إليها ( مارسيل ) فى دهشة ، وكذلك فعلت ( كلوديا ) ، بعد أن تخلت عن ارتشاف ( الكونياك ) من كأسها ، ثم لم يلبث ( مارسيل ) أن أجابها فى خفق :

— مادة عادية يا ( برجيت ) .. أبسط وأرخص مادة لمعالجة التلصصات المعوية .. ( الأتروبين ) .

اتسعت عينا ( سونيا ) فى مزيج من الذعر والسخط ، وهى تهتف :

— حقنتين من ( الأتروبين ) ؟ .. يا للشيطان !!

عقدت ( كلوديا ) حاجبها ، وهى تتطلع إليها فى دهشة ، فى حين ففز ( مارسيل ) من مقعده ، وهو يهتف فى توتر :

— ماذا ثغبين ؟

لوحث بذراعيها فى سخط ، وهى تهتف فى مرارة :

— لقد خدع الجميع .. خدعهم بمعلومة بسيطة ، يعلمها كل رجل فى أى جهاز مخبرات فى العالم .. إن ( الأتروبين ) ليس مجرد مضاد للتلصص فحسب .. إنه أيضا منه للقشرة اخية ، ومحفز للعقل :

شحب وجه (مارسيل) ، وهو يغمغم في دُعر :

— يا للشيطان !! ... هل تعنين ؟..

صاحت في مزيج من اليأس والمرارة :

— نعم .. هذا ما أغنيه .. لقد خدعنا (أدهم صبرى)

اللعين .. إنه لم يعد ذلك الضعيف المشوش الذهن الذى

أردناه .. لقد استعاد قواه وقدراته كلها .. لقد أصبحت

تحارب شيطانًا يا (مارسيل) .. شيطانًا يخشاه الموت نفسه ..

\*\*\*

لم تكن المفاجأة من نصيب (سونيا) و (مارسيل)

و (كلوديا) وحدهم ، ولكن الجزء الأكبر منها كان من

نصيب هؤلاء الأوغاد الأربعة ، الذين تكاتفوا لظعن

(أدهم) ، في أجزاء متفرقة من جسده ، ينصاهم التى تحمل

موتًا بلا رحمة ..

لقد استل كل منهم خنجره ، وهوى به ليطعن جسد

(أدهم) ، الذى بدا متراخيًا مستسلمًا ..

ثم انقلب كل شيء فجأة ، على نحو مذهل ..

تلاشى كل الحمول والتراخي ، اللذين يدوان على ملامح

(أدهم) ، كفقاعة من الصابون ، انفجرت دون أن تترك

أثرًا ، وتحول ذلك الحمول المتراخي بفته إلى كتلة من النشاط

والحيوية والقوة ، وهو ينزلق من مقعده بحركة سريعة ،

رشيقة ، مذهلة ، متفاديًا يصال الموت الأربعة ، التى احتل

توازن أصحابها من فرط المفاجأة والأهول ، ولم يكذ كل منهم

يحتدل مرة أخرى ، حتى صك مسامعهم صوت (أدهم)

المادئ الساهر ، وهو يقول في قوة وبأس :

— ليس هكذا يكون الأمر أيها الأوغاد .. أين تعلم

الظعن ؟.. فى روضة أطفال ؟

استدار إليه الرجال الأربعة فى جركة حادة ، وارتفعت

قبضاتهم المسكة بمقابض خناجرهم ، وقد تغلب غضبهم المائل

على ذهولهم ، ولكن هيبات ..

لقد استرد رجل المستحيل عفوانه وقوته ، وأصبحت

المركة غير متكافئة ..

وفجأة .. تحول (أدهم صبرى) إلى إعصار مدمر ..

وتحطم فك أول الرجال الأربعة ، قبل أن يدري من أين أتته

اللكمة ، وبعثم أنف الثانى ، وقد تحيل إليه أن جذران السجى

كلها قد هوت على أنفه منجمعة ، وظعن الثالث الهواء ، ولم يجد

الفرصة ليحتدل ، فقد غاصت قدم (أدهم) فى معدته ،

وأجبرته على مزيد من الانحناء ، قبل أن تتلقى مؤخرة عنقه  
ضربة أشبه بالقبلة ، جعلته يطلق خوارًا كالثور ، قبل أن يتمدد  
على وجهه فاقد الوعي ..

وقفز الرابع إلى الخلف ذاهلاً ، ثم لم يلبث أن نفث دمه ،  
وأطلق صرخة غاضبة ، وهو يتقصد على ( أدهم ) بخنجره ،  
ولكن يد ( أدهم ) اليسرى ارتفعت في سرعة ، وأمسكت  
معصم الرجل الأيمن ، ثم انطلقت قبضته اليمنى لتغوص في معدة  
الرجل ، الذي أراد أن ينشئ من فرط الألم ، ولكن تلك القبضة  
التي أصابت معدته ، قفزت فجأة إلى فكه ، وهوت عليه  
كصاعقة ، قبل أن يسقط فاقد الوعي ..

وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي ( أدهم صبرى ) ..  
لقد انتخبه القدر لمواصلة الحياة هذه المرة ..  
ولمواصلة القتال ضد ( ملائكة الجحيم ) ..

\*\*\*



وفجأة .. تحول ( أدهم صبرى ) إلى إعصار مدمر .. وتحطم فك  
أول الرجال الأربعة ، قبل أن يدري من أين أتته اللكمة ..

## ٥ - الهروب من الخطر ..

وقف ( أدهم ) هادئاً في الفضاء ، إلى جوار الرجال الأربعة  
الفاقدى الوعى ، في حين اندفع الحراس والماسجين من كل  
صوب ، نحو منطقة المعركة ، وصوب أحد الحراس بندقيته نحو  
( أدهم ) ، وهو يتف :  
— ماذا فعلت أيها التمس ؟

أجابه ( أدهم ) في برود ، وهو يشير إلى الخناجر الأربعة ،  
الملقاة أرضاً :

— هم التمساء لا أنا .. لقد كنت أدافع عن حياتي  
فحسب .

أخذ الحارس ينقل بصره بين ( أدهم ) ، والأجساد الأربعة  
الضخمة ، المتوسدة أرض الفضاء ، في ذهول ، في حين عقد  
( أدهم ) ساعديه أمام صدره ، فبدأ عملاقاً مفتول  
العضلات ، شاحخ الجبين ، وهو يسترجع ما حدث في الساعات  
الماضية ..

لقد كشف ، بعد أن ارتشف قهوة الصباح ، أنه ضحية  
لمادة مخدرة ، تشوش تفكيره ، وتوهن قواه ، وحاول أن يعثر

على مهرب ، قبل أن يحاول رجال ( مارسيل ) قتله داخل  
السجن ، ولكن اضطراب ذهنه وتفكيره حالاً بينه وبين  
ذلك ..

وهنا استجمع إرادته كلها ..  
استجمع من أعماقه إرادة فولاذية جبارة ، جعلته يحمل  
ذوئاً لقب ( رجل المستحيل ) ..  
واسترجع ما تعنمه في سلك التقارير العامة ، عن العقاقير  
ووسائل مقاومتها ..

كان ذلك يستلزم منه جهداً رهيباً ، ولكنه فعله ، حتى  
تذكر أمر ( الأترويين ) ، كإداة منشطة للعقل ، وهنا تظاهر  
بأنه يعال آلاماً وتقلصات معوية حادة ، وتركهم ينقلونه إلى  
مستشفى السجن ، ويدفعون ( الأترويين ) ، الذى يسمى  
إليه ، في عروقه ، وهم يتصورون أنهم إنما يعالجون تقلصات  
معدته فحسب ، دون أن يدري أحدهم أنهم ينزعون الوهن  
والتشوش من جسده وعقله أيضاً ..

كانت الحادثة الوحيدة في هذه اللعبة ، هي أن يكون طبيب  
مستشفى السجن من رجال ( مارسيل ) ، ولكنه — لحسن  
الحظ — لم يكن كذلك ..

توقفت ذكرياته عند هذه النقطة ، حينما سمع أحد الحراس  
يتلف في صرامة :

— المدير يطلب ذلك المصرى في مكتبه .

دفعه الحراس إلى مكتب المدير ، وأحدهم يقول في خفق :

— لم يحضر على قدمه إلى هنا إلا يوم واحد ، وهاهو ذا  
يشير المتاعب واحدة بعد أخرى .

سار معهم ( أدهم ) إلى حجرة مدير السجن في هدوء ،  
ووقف أمام مكتب هذا الأخير في برود ، يتطلع إليه ، وهو  
يقول له في لهجة ساخطة :

— اسمع يا مسيو ( أدهم ) .. إنك لست هنا في قاعة  
للرياضة ، أو فندق فاخر .. إنه سجن له قواعده ولوائح ..  
إن .....

لم يستمع ( أدهم ) إلى باقى حديث المدير ، فهو بطبعه يكره  
ذلك النوع من اللوم الروتيني ، ثم إنه كان يشعر بالحقنق من  
نفسه ، فقد تعمق شعوره بأنه كان شديد التخاذل في هذه  
المهمة ، مما جعلها تتعقد وتشابك ، وترداد تحبطاً وصعوبة مع  
كل خطوة يخطوها ، فيجد نفسه في النهاية سجيناً ، يعانى  
محاولات رجال ( مارسيل ) للتخلص منه ، ويضيع الكثير من

وشعر ( أدهم ) بخفاف شديد في حلقه ، وبصعوبة في  
التطلع إلى الضوء المباشر ، وبشعور من التوهج في حسده  
ووجهه ، ولكنه لم يبال ، فقد كان هذا هو الثمن الذى يدفعه  
من تسرى مادة ( الأتروبين ) في عروقه ، ولقد بدت له هذه  
الأعراض ، على الرغم من متاعبها ، مبهجة ، لأنها كانت الدليل  
على أنه قد استعاد صفاء ذهنه ، وسرعة استجابته المعهودة ..  
ولقد اختبر ذلك حينما هاجمه ( شارل ) ، في قسم  
التنظيف ..

لقد ملح هجوم ( شارل ) بطرف عينيه ، وسمع وقع أقدامه  
وهو يدفع نحوه ، فانحنى في سرعة ، وترك ( شارل ) يصطدم  
به ، ويهوى أسفل المكبس ..

ولم يكن يكذب حينما قال إنه قد حاول إنقاذه ، فقد حاول  
بالفعل ، ولكن المكبس كان أسرع منه ، وكأنما قرّر القدر أن  
يدفع ( شارل ) ثمن كل جرائمه السابقة ، في هذه اللحظة  
بالذات ..

ورأى ( أدهم ) ألا يكشف عن يقظته على الفور ، فظاهر  
بأنه مازال واهناً ، مضطرباً ، مشوشاً ، حتى هاجمه هؤلاء  
الأوغاد الأربعة ، فلم يعد هناك مفر من إعلان الأمر ..

الوقت في صراعات جانبية ، دون أن يصل إلى هدفه الأساسي ،  
وهو القضاء على ( ملائكة الجميع ) ..

وتحوّل حَتْفَه على نفسه إلى غضب جارف ، سرى في عروقه  
كالْحَمَمِ المتأججة ، والتهب له عقله وقلبه ، ووجد نفسه يتف  
في أعماقه :

— ماذا أصابك يا ( أدهم ) ؟ .. هل تقدّمت بك السن ،  
فصرت متخاذلاً متهاوئاً ؟ .. لماذا تكتفى بلعب ذُور المدافع ؟ ..  
إنك في ( باريس ) ، فلتعمل إذن بالقاعدة التي وضعها  
( نابليون بوناپرت ) ، إمبراطور ( فرنسا ) السابق .. إن  
المجرم هو تحير وسيلة للدفاع .. لا بدّ لك من مغادرة هذا  
السجن .. ومواصلة مهمتك ، ولينهب كل ما عدا ذلك إلى  
الجميع .. لم يعد لديك ما تخسره .. لقد انقلبت ( فرنسا ) كلها  
ضدك ، بشرطتها وعصاياتها ، وبالمدافعين عن القانون  
والمخالفين له .. هيا يا ( أدهم ) .. انفضّ عنك كلّ هذا  
التراخي ، وانطلق .

كان مدير السجن ما زال يتف في غضب وسخط ، قائلاً :  
— إذا كنت ترغب في قضاء أقل وقت ممكن هنا يا ميسو  
( أدهم ) ، فضليك أن تلتزم بكل نظم السجن وقواعده ،

فصحيح أننا نكره المشاغبين ، ولكننا نضطر لإبقائهم معنا  
لوقت أطول و .....

قاطعه ( أدهم ) فجأة في هدوء :

— اطمئن يا سيدي .. إنني لا أنوى البقاء هنا للغد .

اتسعت عينا المدير ، وهو يقول :

— ماذا تقول ؟

وفجأة .. انحنى ( أدهم ) ، ودار على عقيقه في رشاقة  
مذهلة ، ورّكل بندقية أحد الحارسين ، اللذين يقفان خلفه ،  
ثم لكم الحارس الآخر لكمة ساحقة ، جعلته يسقط فاقد  
الوعي ، دون أن ينس ببنت شفة ، ومال بجسده إلى الخلف  
في مرونة ، ليتفادى لكمة من الحارس الأول ، وارتدّ كحبل  
من المطّاط ، ليلكم الحارس على أنفه مباشرة ، فألقاه إلى جوار  
زميله ، وحاول المدير أن يقفز ليضغط جرس الإنذار ، المثبت  
فوق مكبه ، ولكنه رأى فوهة بندقية أحد الحارسين مصوّبة  
إلى رأسه ، وسمع ( أدهم ) يقول في هدوء :

— يبدو أنك لم تحسن سماع عبارتي يا سيادة المدير .. كنت  
أقول إنني لا أنوى البقاء هنا للغد .

\*\*\*

شعب وجه مدير السجن ، وتهالك على مقعده ، وهو  
يغمغم في خفوت :

— إنك تُقدِّم على مخاطرة رهبة .. هل تعلم عقوبة محاولة  
الفرار من السجن ؟

هزّ ( أدهم ) كفيه في لامبالاة ، وارتسمت على شفيه  
ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

— هل تعلم خطورة عدم إطاعة أوامري ؟

هتف المدير في توتر :

— إذا كنت تظن أنني سأعاونك على الفرار من هنا ،  
فأنت واهم .

اتسعت ابتسامة ( أدهم ) الساخرة ، وهو يقول :

— لم يخطر ببالى قط ، فلقد قرّرت منذ لحظات ألا أنتظر  
أى نوع من المعاونة .

تطلّع إليه المدير في دهشة ، وتضاعفت دهشته حينما انقلبت  
لهجة ( أدهم ) إلى لهجة صارمة مخيفة ، وهو يسأله :

— ما اسم حارس البوابة ؟

أجابه المدير في تلقائية :

— ( جوتيّه ) .

ثم لم يلبث أن استترك في خنق :

— ولا تنتظر متى معلومة أخرى زائدة ، حتى ولو أطلقت  
النار على رأسى .

بدت له ابتسامة ( أدهم ) غامضة ، وهو يقول :

— اطمئن أيها المدير .. هذا يكفينى .

ثم التقط سماعة هاتف المدير ، الذى اكتشفه ذهول هائل ،  
حينما سمع صوته يخرج من بين شفتى ( أدهم ) ، الذى قال غيّر  
الهاتف في صرامة :

— صلّنى بالبوابة .

اتسعت عينا المدير في ذهول جارف ، فقد طابق ذلك  
الصوت ، الذى خرج من بين شفتى ( أدهم ) ، صوته هو بدقّة  
مذهلة ، حتى لقد تصوّر أنه هو الذى يلقى ذلك الأمر ،  
بأسلوبه ولهجته ..

واستمّر ذهوله ثانية واحدة ، قبل أن يقفز من مقعده  
صائحا :

— أيها الشيطان !! إننى لن أسمح لك .

وفجأة .. تلقّى فكّه لكمة محكمة ، أعادته إلى مقعده فاقد  
الوعى ، في حين غمغم ( أدهم ) في أسف :

— لقد اضطررتنى لذلك أيها المدير .  
ثم عادت حجراته المرنّة تستعيد صوت المدير ولهجه ، وهو  
يقول فى صرامة :

— أنا المدير يا ( جوتيه ) .. سيأتىك الحارس الجديد  
( ديلون ) الآن ، أعطه سيارة قوية ، ودعه يذهب ، فقد  
أرسلته فى مهمة خاصة إلى إدارة الأمن العام ، وأريد منه أن  
يصل إلى هناك فى سرعة .

أجاب ( جوتيه ) فى احترام :

— كما تأمر يا سيادة المدير .  
وهنا وضع ( أدهم ) سماعة الهاتف ، وبدأ ينزع ثياب أحد  
الحارسين فى سرعة .  
لقد حانت لحظة الغفوة للقتال ..

\*\*\*



ثم انقطع سماعة هاتف المدير ، الذى اكتشفه ذهول هائل ،  
حينما سمع صوته يخرج من بين شفتى ( أدهم ) ..

كان مدير اخبارات المصرية يبدو شديد الاهتمام والقلق ،  
وهو يسأل النقيب ( مدحت ) :

— إذن فقد طلب اللواء ( حسن الغندور ) رؤية  
التصميمات مرة أخرى ، هل أبقاها معه ؟.. هل طلب أن يبقى  
وحده مع التصميمات ؟

هز ( مدحت ) رأسه نفياً في خيرة ، وهو يقول :  
— أبداً ياسيدى .. لقد قام بفحصها أمام خبير  
التصميمات ، ومدير مكتبه ، وناقش الخبير في بعض التعديلات  
التي أُجريت ، ثم أعطاه التصميمات ، وعاد يزاول عمله في  
هدوء .

عقد مدير اخبارات حاجبيه في خيرة ، وهو يفهم :  
— عجباً !!..

وأخذ يقطع مكتبه جيئة وذهاباً ، وهو يزوى ما بين  
حاجبيه ، ويعقد كتفيه خلف ظهره ، ثم توقّف أمام نافذة  
حجرفته طويلاً ، كما دته كلما استغرقه التفكير في أمر غامض  
محيّر ، وأخيراً التفت إلى ( مدحت ) ، قائلاً :

— أخشى أن نكون قد أسأنا تفسير الموقف  
يا ( مدحت ) .

أسرع ( مدحت ) يقول في توتر :  
— ولكن حادث الفندق كان مقصوداً ياسيدى ، ولا بد  
أنه يرمى إلى شيء ما .

مطّ مدير اخبارات شففيه ، وهو يقول :  
— بلا شك ، ولكن ماذا ؟.. ماذا جعلهم يفعلون هذا ؟..  
وما ذلك السرّ الغامض الذى يحمله اللواء ( حسن  
الغندور ) ؟..

\*\*\*

عاد الجاسوس الذى يتحلل شخصية اللواء ( حسن ) إلى  
منزل هذا الأخير (\*) ، حيث استقبلته زوجة اللواء ( حسن )  
الحقيقى ، وهى تقول في قلق :

— كيف حال العمل اليوم ؟  
أجابها في القضاة :  
— بخير .

(\*) راجع الجزء الثانى ( ملك العصابات ) .. المغامرة رقم (٦٢) .

ثم أسرع إلى حجرة مكتبه ، فصلت الزوجة بذراعه .  
وهي تسأله في حزن :

— ماذا بك يا ( حسن ) ؟

التفت إليها في هدوء ، وهو يقول :

— لا شيء .. ما الذى دفعك لهذا السؤال ؟

غمغمت في تردد :

— إنك .. إنك تبدو مختلفًا .. منذ عودتنا من عرض  
الأزياء أمس .

عقد الجاسوس حاجبيه في قلق ، فلقد كان يتصور أنه يؤدى  
دور اللواء ( حسن ) في براعة فائقة ، بعد ثلاثة شهور من  
التدريبات الشاقة المكثفة ، ولكنه تبَّه الآن إلى وجود قصور  
رهيب في الخطوة .. قصور يتعلق بحياة بديله الشخصية ..

لقد درس هو طيبة اللواء ( حسن ) وشخصيته ، من  
الجانب الذى يراه الجميع ، ألا وهو جانب العمل ، أما حياته  
الشخصية في منزله ، وبين زوجته وأبنائه ، فهي جانب آخر  
من شخصيته ، تستحيل دراسته ، مادام من المستحيل أن  
يشارك أحد المقرَّبين منه في العملية ..

وهذا يَغْنى أن العملية كلها تتعرض للخطر ، وعليه أن  
يفلت من هذا القصور بسرعة ..

وابتسم في وجه زوجة اللواء ( حسن ) ، محاولًا تقليد  
ابتسامة هذا الأخير وصوته وأسلوبه ، وهو يغمغم :  
— لا عليك يا زوجى الحبيبة .. إنها بعض متاعب العمل  
فحسب .

تطلعت الزوجة إلى وجهه في دهشة ، وتحيل إليه أن عينها  
قد حملتا الكثير من الشك والريبة ، مع شعة من الدُعر ، قبل  
أن تطرق بوجهها وتضمنت لحظة ، ثم تسأله في هدوء :

— هل ستزاول بعض العمل في مكتبك ؟

اجسم ورئت على كفتها ، وهو يقول :

— نعم .. أنت تعلمين تكلس العمل .

ترددت لحظة ، أو هكذا تحيل إليه ، قبل أن تعود لتسأله  
في هدوء :

— هل أعد قدح القهوة كالمعتاد ؟

اجسم قائلاً :

— بالطبع .

ثم تركها ، وانطلق إلى حجرة مكتب اللواء ( حسن ) ،

وأغلق الباب خلفه في إحكام ، وزفر في عمق ، لتجاوزة هذه المشكلة ، ثم جلس خلف المكتب ، وفتح أحد أدراجة الجانبيه ، والتقط منه ورقة ضخمة مطوية ، فردها أمامه ، وتطلع إليها في اهتمام ، ثم تناول قلمه ، وبدأ يضيف إلى الرسم التخطيطي ، الذي يملؤها ، بعض الخطوط والتفاصيل في سرعة ومهارة ، وهو يشعر بالثقة والظفر ، فقد تم تدريسه على نحو خاص ، بحيث يمكنه إدراك التعديلات الموجودة في التصميمات بمجرد النظر ، وإضافتها إلى نسخة التصميمات التي يحملها بنفسه ، حتى لا يتعرض لمخاطر تصوير التعديلات ، وما يستتبعه من إثارة للشك ..

واستغرق منه هذا العمل ساعة كاملة ، انتهى بعدها من إضافة كل التعديلات إلى التصميمات الرئيسيه ، ثم التقط من خراج مكتبه آلة تصوير دقيقة ، أسرع يلتقط بواسطتها عدّة صور للتصميمات بعد التعديل ، وبعدها مرّق التصميمات ، وجمعها في سلة المهملات ، ثم أشعل فيها النار ، والتقط من آلة التصوير ذلك الميكرو فيلم ، الذي يحوى الصور ، وحطّم آلة التصوير ، وقام بفتح النوافذ ، ليتخلّص من دُخان الأوراق المحترقة ، ثم استرخى على مقعده ، وارتسمت على شفتيه

ابتسامة ظافرة ، وهو يشعل سيجارته ، وينفث دُخانها ليختلط بدُخان الأوراق المحترقة ..

لقد نجح هذا الجزء من الحطة ..

\*\*\*

فحصت ( منى ) ذلك المسدّس الذي أعطاها إيّاه الرائد ( وليد ) ، ثم دسّه في حقيبتها ، والتقطت عدستين زرقاوين لتضعهما في عينيها ، حينما سألها ( وليد ) :

— هل تنوين إتمام المهمة وحذك ؟

كان صوتها يحمل مزيجًا من الحزن والمرارة والإصرار والعناد ، وهى تقول :

— بالطبع .. لقد قضى ( أدهم ) نجه من أجل تحطيم ( ملائكة الجحيم ) ، وسأتم المهمة التى قُبل من أجلها ، ولو دفعت حياتى ثمنًا لذلك .

من أسلوبها شفاف قلبه ، فقال فى صرامة :

— ستمّها معًا إذن .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

— إنها مهمة خاصّة بـ ( أدهم ) وى فقط ، ولم تلثم إصابة كفتك بعد .

قال في صلابة :

— إنها مهمة لـ ( مصر ) أيتها النقيب ، ولن نحول إصابتي  
بيني وبين القتال من أجل وطني .

صمت لحظة ، وهي تتأمل في هدوء ، ثم قالت :  
— فليكن .. ولكننا سنتظر عودة ( حلمي ) ، وما يحمله  
من أخبار .

لم تكذب عبارتها حتى ارتفع رنين جرس الباب ، فأسرعت  
( منى ) تهتف :

— لقد عاد ( حلمي ) .

وأسرعت إلى الباب ، وفتحته في حركة سريعة ، ثم عقدت  
حاجبها في قلق ، وهي تتطلع إلى ذلك الرجل الذي يقف  
أمامها ، مرتدياً زياً رسمياً ، وقبعة من قبعات الشرطة ، يرخبها  
فوق رأسه لتخفى نصف وجهه ، وهو يقول بالفرنسية :

— أهذا منزل مسيو ( وليد زهران ) ؟

أجابته في قلق :

— إنه هو .

فوجئت به يتقدم إلى الداخل ، ويزعجها عن طريقه في  
برود ، فهتفت في غضب وصرامة :

— هذا منزل خاص ، وما لم تكن تحمل إذنًا رسميًا  
بالتفتيش ، فلن .....

قاطعها الرجل في هدوء ، وقد اختفت لغته الفرنسية ،  
وحلّت محلها لغة عربية ، ذات لهجة مصرية محبة إلى آذان  
( منى ) ، وتحمل رئة ساخرة ، جعلت قلبها يخلج بين ضلوعها  
في قوة :

— إهنا رسميًا؟! .. وهل يحتاج المرء إلى إذن رسمي لزيارة  
منزل صديق يا عزيزتي ( منى ) ؟

وأردف عبارته بطلع القبعة الرسمية ، وإلقائها فوق مقعد  
قريب ، فالتسعت عينا ( منى ) في مزيج من الدهول والفرح ،  
وهي تتطلع إلى وجهه الوسم ، وابتسامته العذبة ، ووجدت  
نفسها تصرخ في معادة غامرة :

— إذن فهو أنت !!.. حمدا لله .. لقد عُدت إلينا سالما  
يا ( أدهم ) .

ولم تكذب عبارتها حتى سقطت بين ذراعيه فاقدة الوعي ،  
من فرط الانفعال ..

أفاقت ( منى ) من غيوبتها بعد ساعة واحدة ، فطالعتها  
وجه ( أدهم ) ، وهو ينحنى نحوها ، ويتسم ابتسامة تحمل كل  
حنانه وجهه ، وهو يقول هامساً :  
— مرحباً بك يا عزيزتى .

اعتدلت جالسة ، وهى تهف فى سعادة :  
— ( أدهم ) .. مازلت أعجز عن تصديق عودتك  
سالماً .. لقد أخبرنا ( حلمى ) أنك قد لقيت مصرعك فى  
السجن .

ابتسم وهو يقول :  
— يبدو أن ( حلمى ) يحتاج إلى فرقة خاصة فى جمع  
التحرّيات يا عزيزتى ، فقد كان عليه أن يترؤى قبل أن ينقل  
مثل هذا الخبر .  
سألته فى هفّة :

— كيف هربت من السجن ؟  
هز كتفيه . وهو يقول فى لامبالاة :  
— لم يكن ذلك بالأمر العسير يا عزيزتى ، فأى مخلوق يمكنه  
أن يفعل ذلك . مادام يرتدى زى حُرّاس السجن الرسمي ،  
ويحمل بندقية . ويتحرّك فى هدوء . حاملاً أمراً خاصاً من مدير  
السجن .



ولم تكذب عبارتها حتى سقطت بين ذراعيه فاقدة  
الوعي ، من فرط الانفعال ..

ضحك ( وليد ) ، وهو يقول :

— إنك تجعل الأمر يبدو كنزها لطيفة يا مينايدة المقلّم ،  
ولكن ليس من العسير بالفعل أن يفرّ من يحمل لقب ( رجل  
المستحيل ) ، من سجن ( باريس ) ، بعد أن نجح يوماً في الفرار  
من سجن ( منج منج ) الرهيب (٥) .

ابتسم ( أدهم ) ابتسامة باهتة ، ثم سأل ( منى ) في اهتمام :  
— أما زالت حقيبة التكرّ الخاصة بنا في حجرتنا بالفندق ؟  
أجابته في هدوء :

— لست أدري .. ولكن إبحار الحجرة مسدّد حتى نهاية  
الشهر ، ولكن رجال ( مارسيل ) سيأقبونها حتماً ، فور  
معرفة بمفارك ، ولقد أحضرت أدوات التكرّ الأخرى ،  
التي ابتاعها ( وليد ) قبل .....  
قاطعها في هدوء :

— لن تكفى يا عزيزي ، إن المواجهة ستخذ هذه المرأة لونا  
جديداً ، وأحتاج إلى كل ذرّة من المعونة فيها .  
سأنته وقد بدا القلق يتسلّل إلى صوتهما :  
— ماذا تنوي أن تفعل ؟

(٥) راجع قصة ( مغلب الشيطان ) .. المغامرة رقم (٣٧) .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :  
— سأعبرك يا عزيزي .. سأعبرك بكل شيء .

\*\*\*



## ٧ - المناورة ..

« هرب من السجن » ..

صرخت (سونيا) بهذه العبارة ، في مزيج من الذهول والرعب ، وشحب وجهها في شدة ، وهي تهتف مردفة :  
— هذا يغني أنه سيقا تل في شراسة هذه المرة .. لقد أدرك أنه باث طريد الخنوع ، وسقلب الأمور ليتحول من الدفاع إلى الهجوم الشرس ، هذه هي طبيعته .

هتف بها (مارسيل) في صرامة :

— كفى يا (برجيت) .. إنك تثيرين خنقى بفزعك هذا .. هل نسيت أنني أقوى رجل في (فرنسا) ؟ وأنه لم يخلق بعد من يزم (مارسيل يكر) ؟

ارتعد جسد (سونيا) ، وهي تصرخ في عصبية :

— كفى غرورًا يا (مارسيل) .. ألقي عن عينيك تلك البشاورة التي تمنحك رؤية قدرات خصمك .. لو أراد (أدهم صبرى) أن يظفر بك لفعل ، حتى ولو اختفيت في مصباح (علاء الدين) ، وأحطت نفسك بأسوار من نار .

صرخ (مارسيل) في غضب :

— كفى يا (برجيت) .

ابسمت (كلوديا) في تلذذ ، وهي تنفث دُخان سيجارتها ولم تزد على أن غمغمت في خفوت :

— ياله من رجل !!

التفت إليها (مارسيل) ، هاتفا في جدّة :

— كفى أنت أيضًا يا (كلوديا) .

ثم لَوَّح بذراعه ، قائلاً في عصبية :

— لا تنس يا (مارسيل يكر) .. ملك العصابات

سألته (سونيا) في جدّة مماثلة :

— وماذا تنوى أن تفعل يا ملك العصابات ، بعد أن أصبح

خصمك طليقًا ؟

عقد (مارسيل) حاجبيه ، وهو يقول :

— سأستغل قدرات هذا الرجل لصالحى .

ثم أردف في اهتمام وعصبية :

— إذا كان يريد أن يتالنا حقًا ، فلا بدّ له من مهاجتنا ،

وسيجنى هذا أن يواجهنا إن عاجلاً أو آجلاً ، وكل ما علينا أن

نفعله هو أن نستعد ، وننتظر .

غمغمت (سونيا) في سخرية :

— يا لها من حُطّة بارعة !!

تجاهل (مارسيل) لهجتها الساخرة ، وهو يردف في مزيج من الصرامة والحقن :

— ومنبدأ بتطبيق القاعدة المعروفة : « لا تضع البيض كله في سلة واحدة » وهذا يعنى أن يفترق ثلاثنا ، فيقيم كل منا في منزله ، ونحيط المنازل الثلاثة بأكبر قدر من الحراسة والمراقبة ، مع إصدار الأوامر بقتل (أدهم صبرى) هذا فور رؤيته .

عادت (سونيا) تغمغم :

— لن يكفي هذا .

مرّة أخرى تجاهلها (مارسيل) ، وهو يستطرد :

— وفي نفس الوقت سيستمر رجالى في البحث عنه ، بالإضافة إلى جهود رجال الشرطة ، التى ستكون ولا شك ، بحكا عن المصرى الذى نجح في الفرار من السجن .

مطّت (سونيا) شفيتها ، وهى تغمغم :

— أتعثّم أن ينجح كل هذا .

صاح (مارسيل) في غضب :

— ماذا أصابك يا (برجيت) ؟ .. إنه مجرد رجل واحد !

هتفت (سونيا) في جدّة :

— رجل واحد نجح في الفرار منك أكثر من مرّة ، وفى تجاوز كل المخاطر التى تعرّض لها حتى الآن يا (مارسيل) .. رجل واحد يساوى جيشاً كاملاً .

صاح (مارسيل) :

— فليساو حتى دولة بأكملها .. إنه لن يفلت من بين يدي هذه المرّة يا (برجيت) .

ثم أردف بكل ما يعمل في نفسه من خنق ومرارّة :

— ستكون هذه هى الجولة الأخيرة ، فى صراعنا مع ذلك الشيطان المصرى .

\*\*\*

اعتدل موظف الاستقبال في ذلك الفندق الفاخر ، الذى يطلّ على برج (إيفل) في قلب (باريس) ، في احترام ، أمام ذلك الرجل الوقور ، الأشيب القوّدين ، الذى تأمله من خلف منظاره الطبيّ ، قبل أن يقول في هدوء ، وبانجليزية سليمة ، لا يرقى إليها الشك :

— أريد حجرة في الطابق الثالث ، تطلّ على برجكم الشهير مباشرة .

أجابه الموظف في احترام :

— يؤسفنى ألا توجد حجرات خالية في الطابق الثالث  
ياسيدى .. ولكن لدى جناح فاخر في الطابق الرابع ، يمكنك  
من نافذته رؤية أجمل مشهد للبرج .

مطأ الإنجليزي الوقور شفيع ، وهو يقول في أسف :

— لا بأس .. سنكفى بالموجود .

ثم دفع أمام الموظف برزمة تحوى عشرة آلاف فرنك  
فرنسى ، وهو يستطرد في هدوء :

— هل يكفى هذا المبلغ كدفعة مقدمة ؟ .. إننى أنوى البقاء  
لأسبوع كامل .

هتف موظف الاستقبال في دهشة واحترام :

— إنه يزيد كثيرا ياسيدى ، فلن يتجاوز إيجار الجناح في  
الأسبوع سبعة آلاف فرنك و ..... .

قاطعه الإنجليزي في لامبالاة :

— حسنا احفظ بالباقي .

سال أعاب موظف الاستقبال ، وتطلع في توفير إلى الرجل  
الذى منحه ثلاثة آلاف فرنك دفعة واحدة ، وهتف في فرح  
لم يحاول إخفاؤه :

— أوه .. شكرا جزيلًا ياسيدى .

وأسرع يخرج دفتره ، ليجل اسم النزيل ، وهو يقول :

— هل تسمح لى بجواز سفرك ياسيدى المحترم ؟

أجابه الإنجليزي في هدوء :

— سيصل سكرتيرى الخاص بعد ساعة واحدة ، حاملًا

الحقائب وجواز السفر .

كان القانون الفرنسى يحتم وجود جواز السفر بالنسبة  
للأجانب ، إلا أن موظف الاستقبال خشى أن يفقد تلك

الهيئة ، التى تفوق مرتبه في شهر كامل ، فأسرع يقول مبتسمًا :

— لا عليك ياسيدى .. سأكفى بتوقيعك ، وسأكمل

البيانات اللازمة عند وصول سكرتيرك الخاص .

ابسم الإنجليزي ، وتناول القلم ليوقع باسمه ، وهو يقول  
في هدوء :

— يروق لى أسلوب معاملتكم هنا .. أعتقد أننى سأقيم في

فندقكم في كل مرة أزور فيها ( باريس ) .

هتف الموظف في حرارة :

— على الرحب والسعة ياسيدى المحترم .

\*\*\*



وطّوح بجسده مرّتين ، ثم أفلت من الحاجز ، وقفز ليستقر فوق الحاجز  
الخارجي لنافذة الحجرة ويحفظ توازنه في مهارة ورشاقة ..

لم يكد الإنجليزي ، الذي لم يكن سوى ( أدهم صبرى ) ،  
يستقر في جناحه الفاجر ، في الطابق الرابع ، حتى أسرع إلى  
نافذة الجناح الضخمة ، وتطلّع منها إلى الطابق الثالث ، حيث  
حجرت الأولى في نفس الفندق ، ثم خلع معطفه ، وألقاه بإهمال  
على مقعد قريب ، وتسلّق النافذة ليقف على الحاجز الضيق  
خارجها ، وتحرك فوقه في بحّة وسرعة ، ملصقاً ظهره بحائط  
الفندق ، حتى أصبح فوق حجرت الأولى تماماً ، وهنا مال  
بجسده في مرونة ، وأمسك الحاجز بكفيه ، ثم ألقى جسده  
ليندلّى إلى الطابق الثالث ، أمام نافذة الحجرة ، ووطّوح بجسده  
مرّتين ، ثم أفلت من الحاجز ، وقفز ليستقر فوق الحاجز  
الخارجي لنافذة الحجرة ، ويحفظ توازنه في مهارة ورشاقة ،  
ثم شرع يعالج النافذة حتى فتحها ، وقفز داخل الحجرة ، واتجه  
في خطوات سريعة إلى حيث ترك حقيبة أدوات تنكره ،  
والتقطها ليفحصها في عناية ، قبل أن ترسم على شفتيه ابتسامة  
ساخرة ، وهو يغمغم :

— كم تستعجب بالندم ، لأنك لم تعد هذه الحقيبة يا عزيزي  
( مارسيل ) .

\*\*\*

كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة مساءً ، حينما  
اقتحمت سكرتيرة ( آلان لويس ) ، المحامي الخاص  
لـ ( مارسيل بيكر ) حجرته ، وهي تقول في هفة :

— مسيو ( آلان ) .. إن مسيو ( مارسيل ) يطلب  
رؤيتك .

هتف ( آلان ) وهو ينهض من مقعده ، ويلتقط معطفه  
بسرعة :

— هل هناك أمر خطير ؟ .. سأذهب إليه على الفور .

قالت السكرتيرة في صوت لاهث :

— إنه هنا يا مسيو ( آلان ) .

اتسعت عينا ( آلان ) في دهشة ، وهو يهتف :

— هنا ؟ !

ثم استدرك في سرعة :

— وكيف جعلته ينتظر في الخارج أيُّها التَّجَسُّس ؟ ..

سأستقبله على الفور .

جاءه صوت ( مارسيل ) ، وهو يقول في هدوء :

— أنا الذي طلبت منها أن تخبرك أولاً يا عزيزي ( آلان ) .

كان يقف بباب الحجرة متأنقاً كمادته ، مرتدياً حُلَّةً بيضاء

أنيقة ، وقفازين قصيرين من الجلد الأبيض ، وشعره الأسود  
الناعم الكثيف مصقَّف في عناية ، ليزيد من وسامة ملامحه ،  
فأسرع إليه ( آلان ) بصافحه في حرارة ، وهو يقول في  
ارتباك :

— مرحباً بك في مكبى أيا الزعيم .. معذرة .. فلقد

أربكني حضورك ؛ لأنك لا تفعل هذا إلَّا فيما ندر ، فقد  
اعتدت أن أذهب أنا إليك ، أو نتحدث هاتفيًا .

صافحه ( مارسيل ) في برود ، دون أن يخلع قفَّازه ، كما  
تقتضى أصول اللياقة ، ثم جلس فوق مقعد قريب ، ووضع  
إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يقول :

— كان الأمر هذه المرَّة يحتاج إلى قدمي شخصيًا  
يا ( آلان ) .

أسرع ( آلان ) يستقر خلف مكبه ، وهو يسأله في قلق :

— ماذا هناك أيُّها الزعيم ؟

أشعل ( مارسيل ) واحدة من سجانه ، ونفث دُخانها في

بطء وهدوء ، قبل أن يقول :

— أريد كل أوراق العمليات السَّريَّة ، التي أحفظ بها

هنا

اتسعت عينا ( آلان ) عن آخرهما ، وهو يتخف :  
— كل الأوراق ١٢ ..

وخامره خاطر مزعج ، جعله يستطرد في جزع :

— هل تنوى إيقاف تعاملك معي يا مسيو ( مارسيل ) ؟ ..

إنني لم أقصر في عمل أبداً ، لقد استصدرت صباح اليوم قراراً بالإفراج عن ( ماريان ) و ( سينوريه ) ، على الرغم من تقرير رجال الشرطة بالعُثور على المدفع الرشاش بحوزتهما ، ولم أفرط يوماً في ورقة واحدة من أوراقك السريّة ، على الرغم من أن ما تحويه يكفي لإلقاء نصف رجالك في غياهب السجون و.....

قاطعته ( مارسيل ) في صرامة :

— والقاتل أنا أيضاً إلى جوارهم يا ( آلان ) .. أليس هذا

ما تريد قوله ؟

شحب وجه ( آلان ) ، وهو يقول :

— لا يمكنني أن أفعل هذا أيها الزعيم .. أنت تعلم أنه

لا يمكنني .. فلذهابك إلى السجن يغني نهاية عمل أيضاً ،

فالإدانة تشمل كلينا على حد سواء و.....

عاد ( مارسيل ) يقاطعه في جدّة :

— كفى أيها العبقري .. إنني لا أنوى إيقاف تعامل معك

أبداً ، ولكنني أواجه الآن خصماً شيطانياً ، يمتلك قدرات تفوق أبشع كوايسك ، ولست أحب أن أترك له ثغرة واحدة ، ينفذ من خلالها إلى .

أشار ( آلان ) إلى الجدار المجاور لمكتبه ، وهو يقول :

— ولكن أوراقك هنا في مأمن يا مسيو ( مارسيل ) ،

فأنت تعلم أن خزانتي السريّة منيعة للغاية ، وحتى الشيطان نفسه لا يمكنه أن .....

قاطعته ( مارسيل ) في صرامة باردة :

— سأشعر بالمزيد من الأمان ، إذا ما احتفظت بالأوراق

في منجني ، في هذه المرحلة بالذات .

حدّق ( آلان ) في وجهه بخيرة ، ثم لم يلبث أن غمغم في

استسلام :

— كما تشاء يا مسيو ( مارسيل ) .. كما تشاء .

ونفض من خلف مكتبه ، فاستوقفه ( مارسيل ) ، قائلاً في

صرامة :

— اصرف سكرتيرتك أولاً يا ( آلان ) .. قلت لك إنني

لا أنوى ترك ثغرة واحدة .

— كان ( آلان ) يثق في سكرتيرته ( جاكلين ) ثقة عمياء ،

خاصة أنها لن تجد أبدا عملاً ، يدّر عليها ذلك الدخل الضخم ،  
الذى تحصل عليه من العمل في مكتبه ، إلا أنه كان يعلم مدى  
خدر وصرامة (مارسيل) ، فيما يختص بوسائل الأمن  
والسرية ، فضغط زرّ (الديكتافون) الموضوع فوق مكتبه ،  
في استسلام ، وهو يقول :

— (جاكلين) .. يمكنك أن تنصرفي الآن .. سأبقى بعض  
الوقت مع مسيو (مارسيل) .

أجابته (جاكلين) في هدوء :

— كما تأمر يا مسيو (آلان) .

ابتسم (مارسيل) ، وقال :

— والآن أحضر الأوراق .

اتجه (آلان) إلى حائط المكتب المجاور ، ونحّس نقوش  
لوحة زيتية أنيقة ، ثم ضغط أحد أجزائها في رفق ، فتحرك جزء  
من الحائط المقابل في هدوء ، كاشفاً خزانة فولاذية قوية ، اتجه  
إليها (آلان) ، ودار بسبّابه على حافتها بعض الوقت ، ليوقف  
عمل جهاز الإنذار السري المتصل به ، ثم ضغط بعض الأزرار  
المتّبة على بابها في تتابع مدروس ، فتحرك باب الخزانة ،  
وكشف عن فجوة تمتلئ بالأوراق النقدية والحلّ والجمهرات ،

والتقط هو منها ملفاً ضخماً ، ناوله إلى (مارسيل) ، وهو  
يقول :

— هاهي ذى كل الأوراق يا مسيو (مارسيل) ، وأنتعشم  
أن تكون قد اصطحبت ثلثه من الرجال لحمايتك ، فمن الخطر  
أن تحمل هذه الأوراق وحدك و .....

قاطعته صوت ساخر ، يختلف تمامًا عن صوت  
(مارسيل) ، وهو يقول :

— اطمئن أيها الوغد .. أنا لا أحاج إلى حماية .

تراجع (آلان) في حركة حادة قوية ، كمن أصابته  
صاعقة ، وتدلى فكّه السفلي في بلاهة ، واتسعت عيناه في  
جحوظ ، وهو يحذق في وجه (مارسيل) ، قبل أن يتف في  
فرع وذُهل هائلين :

— ولكن .. ولكنك لست (مارسيل يكر) .

أجابته (أدهم) ، الذى يتحل شخصية (مارسيل) في  
براعة مذهلة :

— بالطبع أيها الوغد .. أنا لست (مارسيل) .

حاول (آلان) أن ينفذ ذُهلوه ، وأن يصرخ مستعجلاً ،

دخل الجاسوس ، الذى يتحمل شخصية اللواء ( حسن الغندور ) ، فى خطوات هادئة ، بهو ذلك الفندق الفاخر فى قلب ( القاهرة ) ؛ الذى شهد عرض الأزياء الأتيق ، الذى أقامته ( كلوديا موريس ) وهو يرتدى نفس الحُلَّة البنيَّة الأنيقة ، التى كان يرتديها اللواء ( حسن ) ليلة العرض ، والتى ترك النيد بقعة واضحة على سترتها ، واتخذ لنفسه ركنًا جانبيًا ، وراح يطالع صحيفة مسائية فى هدوء ، دون أن يلتفت إلى ذلك الرجل من نزلاء الفندق ، الذى جلس على مقعد مجاور له ، وانهمك بدوره فى مطالعة مجلة فرنسية شهيرة ..

واستغرق كل منهما فى مطالعته بعض الوقت ، ثم دسَّ الرجل الآخر بين شفتيه سيجارة ، من نوع فرنسى شهير ، وحاول إشعالها بقُدِّاحته الذهبية الأنيقة بلا جدوى ، مما جعله يلتفت إلى الجاسوس ، ويسأله فى لهجة مهذبة عما إذا كان يحمل ما يشعل به سيجارته ، فما كان من الجاسوس إلا أن التقط من جيبه قُدِّاحه ذهبيَّة ، مماثلة تمامًا لقُدِّاحه الرجل ، وأشعل بها سيجارة هذا الأخير ، ثم وضعها فوق المنضدة المجاورة ، إلى

ولكن لكمة ( أدهم ) القويَّة أخرسه على الفور ، فسقط ليرتطم بمقعد كبير ، ويهوى فاقد الوعى ، فى حين ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفَتَيْ ( أدهم ) ، وهو يقول :  
— والآن إلى الخطوة الثانية .

\*\*\*



جوار قذاحة الرجل الفارغة ، وعاد كل منهما لمطالعة ما بين يديه في اهتمام وانهماك ، حتى انتهى الرجل الآخر من تدخين سيجارته ، فأطفأها في المنقصة الصغيرة ، الموضوعة فوق المنضدة ، ثم التقط قذاحة الجاسوس ، ودسها في جيبه ، ونهض وهو يكرّر شكره للرجل ، واتجه إلى خارج الفندق في هدوء .. وارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتي الجاسوس ..

لقد سلّم الميكرو فيلم ، الذى يحوى صور التعديلات الجديدة للـ ( تايجر شارك ) ، ولم يغد أمامه سوى استعادة شخصيته ، والرجيل بجواز سفره الخاص ..

لقد كانت عملية رائعة ..

وناجحة ..

\*\*\*

أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، حينما توقفت سيارة ( آلان لويس ) أمام فيلا ( مارسيل بيكر ) ، في تلك الضاحية الهادئة من ضواحي ( باريس ) ، وأطلّ هو منها بعين متورّمة ، وأنف مغطى بالضّمادات ، ووجه مضطرب ، وهو يقول لحارس البوابة :

— أريد مقابلة مسيو ( مارسيل ) .. أخبره أن الأمر عاجل ، وبالع الحظورة .

كان من الواضح أن ( مارسيل ) يحيط نفسه بحراسة شديدة مكثفة ، هذا المساء بالذات ، فقد كان هناك أكثر من عشرين رجلاً ، يحملون المدافع الرشاشة ، ويحيطون بالفيلا ، ولقد بدا ذلك الحارس ، الذى حدّثه ( آلان ) شديد الصرامة ، وهو يقول في خشونة :

— مسيو ( مارسيل ) لا يسمح بأية زيارات هذه الليلة .

صاح ( آلان ) في غضب .

— أخبره أنه أنا ، عليك اللعنة .. إن الأمر الذى أتيت من أجله بالغ الخطورة ، لا يحتمل التأخير للحظة واحدة ، وسأحملك المسئولية لو لم .....

قاطعه الحارس في خشونة :

— كفى يا مسيو ( آلان ) .. سأخبره بأنك هنا ، وعليه هو أن يتخذ القرار .

ثم التقط جهاز لاسلكى صغيراً من حزامه ، وضغط زرّه ، وهو يقول :

— مسيو ( آلان لويس ) هنا أيها الزعيم ، ويصرّ على مقابلتك ، ويقول إن لديه أمراً عاجلاً ، بالغ الخطورة .

وعقد الحارس حاجيه ، وهو يستمع إلى جواب زعيمه ،  
ثم ناول الجهاز إلى ( آلان ) ، وهو يقول :  
— إنه يريد التحدث إليك .. الزَّرّ الأحمر يجعله يسمعك ،  
والأخضر يجعلك تسمعه .  
اختطف ( آلان ) الجهاز الصغير ، وضغط الزَّرّ الأحمر ،  
وهو يقول :

— مسيو ( مارسيل ) .. أريد مقابلتك للضرورة  
القصوى .. لقد زار الرجل المدعو ( أدهم صبرى ) مكبى .  
ثم ضغط الزَّرّ الأخضر ، لسمع ( مارسيل ) ، وهو يهتف  
في غضب :

— زار مكبك ؟! .. وماذا فعل أيها الثمس ؟  
ارتبك ( آلان ) ، وهو يضغط الزَّرّ الأحمر ، قائلاً :  
— إنه أمر أخطر من أن أبلغك به هكذا يامسيو  
( مارسيل ) ، من الضروري أن أتقّى بك ، وخذنا .  
وعاد يضغط الزَّرّ الأخضر ، ويستمع إلى ( مارسيل ) ،  
وهو يصرخ في سخط هائل :  
— عليك اللعنة !! أعطنى حارس البوابة .  
ناول ( آلان ) الجهاز لحارس البوابة ، وهو يقول :

— إنه يريدك .  
التقط الحارس الجهاز ، واستمع إلى زعيمه في اهتمام ، ثم  
قال لـ ( آلان ) :  
— غادر سيارتك يامسيو ( آلان ) .  
غادر ( آلان ) سيارته ، ورفع ذراعيه لسمح للحارس  
بتفتيشه جيّداً ، قبل أن يقول :

— سيقودك ( مارتان ) إلى الزعيم .  
تبع ( آلان ) ( مارتان ) عبرَ ممرّات متشابكة ، معقّدة ،  
حتى توقفاً أمام حجرة لها باب خشبي سميك ، مزدان بنقوش  
تعود إلى القرن الثامن عشر ، ودقّ ( مارتان ) باب الحجرة  
دفتين ، ثم قال :

— مسيو ( آلان ) أيتها الزعيم .  
ودفع الباب ، وأشار لـ ( آلان ) بالدخول ، ثم أغلق الباب  
خلفه ، ووقف أمامه ممسكاً بمدفعه الرشاش في تحفّز .  
أما في داخل الحجرة ، فقد نهض ( مارسيل ) من مقعده ،  
أمام شاشة سينائية تعرض فيلمًا أمريكيًا قديمًا ، وأضاء الحجرة  
وقد يستقبل ( آلان ) معقود الحاجيين ، صائحًا في قسوة  
وصرامة ، وهو يُشير إلى عين ( آلان ) المتورّمة .

— أهو ( أدهم صبرى ) الذى فعل بك هذا ؟

أجابه ( آلان ) فى اضطراب واضح :

— كنت على استعداد لاحتمال أضعاف هذا ، لو أنه لم

يحصل على ما حصل عليه يامسيو ( مارسيل ) .

اتسعت عينا ( مارسيل ) فى دُعر ، وجذب إليه ( آلان )

من سترته فى قسوة ، وهو يصرخ فى وجهه :

— ما الذى حصل عليه يا ( آلان ) ؟ .. لو أنه حصل على

الأوراق فسوف .....

قاطعه ( آلان ) فى صوت أقرب إلى البكاء :

— نعم .. لقد حصل عليها يامسيو ( مارسيل ) .

جمحت عينا ( مارسيل ) فى ذهول ورُغب ، وصرخ

كاجنون :

— أيها الغبيء الحقير .. سأقتلك جزاء هذا .. أين ذهبت

خزانتك المنيعه ؟ .. كيف نجح فى سرقتها ؟

صاح ( آلان ) :

— لقد جاء فى متحلاً شخصيتك يامسيو ( مارسيل ) .

صرخ ( مارسيل ) فى ثُورة ، وهو يدفعه بعيداً عنه فى

قسوة :

— أولم يمكنك أن تفرّق بينا أيها الغبيء ؟ .. هل تعلم ما يغنيه

حصوله على الأوراق ؟ .. إنه يغنى ضرورة فرارى من

( فرنسا ) كلها ، وفى أسرع وقت ممكن ، قبل أن تصل

الأوراق إلى الشرطة .

سأله ( آلان ) فى اضطراب :

— وأين تذهب يامسيو ( مارسيل ) ؟

خدجته ( مارسيل ) بنظرة نارية ، وهو يقول فى غضب

هائل :

— إلى ( سويسرا ) أيها الغبيء .. هل نسيت أنني أمتلك

عدة ملايين من الفرنكات ، فى أحد بنوكها السرية ؟

ثم دقّ على سطح مكتبه فى ثُورة ، وهو يردف فى سخط :

— ولكن كيف خدعك بانتحاله شخصيتي ؟ .. آأنت من

الغباء حتى لم تتبين أنه زائف ؟

لجّل إلى ( مارسيل ) أن صوت ( آلان ) قد شابهته

السخرية ، وهو يقول :

— إنه يجيد التكرّر فى براعة فائقة يامسيو ( مارسيل ) .

التفت إليه ( مارسيل ) فى حركة حادة ، وحدّق فيه فى

ثوئر ، ثم غمغم وهو يتراجع فى دُعر :

— ( آلان ) .. إنك تبدو مختلفاً .. نعم .. إنك أطول قامَةً  
 مما أنت عليه في الواقع .. لقد شغلني ذلك الخبر الذي حملته ،  
 وذلك الورم في عينيك عن ملاحظة ذلك منذ البداية .. إنك  
 لست ( آلان ) .. إنك .....  
 ففزت سبّابته قبل أن يم عبّارته إلى زر الإنذار الخاص ،  
 الذي يستقر فوق مكبّه ، ولكن الدماء تجمّدت في عروقه ،  
 حيناً رأى ( آلان ) يشب نحوه كفهد حرس ..

\*\*\*

لم يستغرق الأمر من ( أدهم ) أكثر من لحظة واحدة ، فلقد  
 وثب نحو ( مارسيل ) ، وهو في هيئة ( آلان ) ، ولكمه لكمة  
 قويّة على فكّه ، جعلت ( مارسيل ) يندفع إلى الخلف في قوّة ،  
 وقبل أن يسترجع توازنه ، أو يسيطر على فزعه وذُهو له ، كان  
 ( أدهم ) يلكمه لكمة قويّة في معدته ، ثم يحيط عنقه بذراعه  
 الفولاذية في قوّة ، ويلصق قُوّة مسدّسه بجيّهته ..  
 وامتلات عروق ( مارسيل ) ، ملك العصابات ، بفزع  
 هائل ، وهو يجد نفسه مهزوماً مدحوراً في قلب وكره ، بين  
 ذراعي ( أدهم ) ، الذي يستطيع بضغطة بسيطة على زناد



وامتلات عروق ( مارسيل ) ، ملك العصابات ، بفزع هائل ، وهو يجد  
 نفسه مهزوماً مدحوراً في قلب وكره ، بين ذراعي ( أدهم ) ..

مُسَدَّه أن يقتله ، فذهب غروره ، وضاعت جُرأته ، وهو  
يهمس في صوت متوسِّل ضارع :

-- ميسو ( أدهم ) .. أرجوك .. سأدفع لك خمسة ملايين  
فرنك ، مقابل حياتي .

أجابه ( أدهم ) في لهجة ساخرة ، تحمل قدرًا من الصرامة  
يشير الفزع :

-- لافائدة يا ملك الأوغاد .. لقد انتهت اللُعبة ،  
وخسرتها أنت حتى الثمالة ، ولم يَعد هناك مجال للتوسِّل  
والرَّجاء .

كاد ( مارسيل ) يبكى ، وهو يقول :

-- أرجوك يا ميسو ( أدهم ) .. إنني أحب الحياة ..  
سأرفع المبلغ إلى عشرة ملايين .. بل عشرين ..  
قاطعه ( أدهم ) في ازدراء :

-- اطمئن أيها الحقير .. إنني لا أنوى قتلك .. سأترك تلك  
المهمة للقضاء الفرنسي .. فلقد حصلت على مستندات تكفي ،  
لأن يضعوك على المقصلة ، عشر مرَّات على الأقل ، وستقدِّم  
زميلتي تلك المستندات للنائب العام الفرنسي بعد ساعة  
واحدة .

وامتلأت شجته بالسُّخريَّة ، وهو يستطرد :

-- هل تعلم لماذا لم أقدم هذه المستندات على الفور ؟ ..

ولماذا أنتظر ساعة أخرى كاملة ؟

تحلَّل لـ ( مارسيل ) أنه قد أدرك غرض ( أدهم ) ، فهتف  
في توسِّل :

-- سأدفع أي مبلغ تطلبه ، مقابل هذه المستندات يا ميسو

( أدهم ) ؟

أطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

-- أخطأت فهم مقصدي أيها الوغد .. فمن المستحيل على

الأوغاد أمثالك ، أن يدركوا وجود أي قوم شرفاء في هذا

العالم .. لقد أجملت تسليم هذه المستندات للنائب العام

الفرنسي ، لأنني لا أريد أن يبدأ رجال الشرطة مطاردتك ،

قبل أن أنتهي من الاستفادة الكاملة من انتحالي شخصيتك ،

فلقد أدركت أنك الشخص الوحيد الذي يمكنه اختراق كل

نطاقات الأمن ، التي أحكمت بها الحصار حول منزل

( سونيا ) ، ومنزل ( كلوديا ) ، وأنا أنوى إنهاء العملية كلها

قبل فجر الغد .

غمغم ( مارسيل ) في ألم :

— أرجوك يا مسيو (أدهم) .

وجاء جواب (أدهم) على هيئة لكمة كالقنبلة ، أغرست (مارسيل) ، وأفقدته وعيه على الفور .. وهنا أسرع (أدهم) ينزع عن وجهه ذلك القناع ، الذى يحمل وجه (آلان) ، فإذا به يحمل أسفله ذلك القناع الآخر ، الذى يبدو ك نسخة طبق الأصل من (مارسيل بيكر) ، وشرع يبذل ثيابه بثياب (مارسيل) ، ثم اعتدل وشفف شعره فى عناية كمعادة (مارسيل) ، وانحنى بثبت قناع (آلان) على وجه (مارسيل) ، ثم اتجه إلى باب الحجره فى هدوء ، وفتحها ، وقلدت حنجرته المرنه صوت (مارسيل) فى براعة مذهلة ، وهو يقول لـ (مارتان) :

— لقد خائنا ذلك الوغد ، وحاول الفرار ، ولكننى أفقدته وعيه .

تطلع (مارتان) إلى (مارسيل) ، الذى يحمل الآن وجه (آلان) ، فى دهشة ، وهو يغمغم :

— مسيو (آلان) خائن !؟

أجابه (أدهم) بصوت (مارسيل) وصراسته :

— نعم .. أريد منك أن تقبّده ، وتكتمّ فمه فى إحكام ، وأبقى خارج الحجره لجراسته حتى أعود .  
استعدّ (مارتان) لتنفيذ الأمر ، وهو يسأله فى اهتمام :  
— إلى أين أيها الزعيم ؟  
أجابه (أدهم) فى هدوء :  
— إننى أشعر برغبة قويّة فى زيارة عزيزتنا (برجيت) .  
وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه ، وهو يردف :  
— رغبة قويّة للغاية .

\*\*\*



توقفت سيارة (مارسيل يكر) الفاخرة، أمام البناية التي تقيم فيها (سونيا جراهام)، في منتصف الليل تمامًا، وهبط منها (أدهم)، وهو يحمل وجه (مارسيل)، وأناقته المفرطة، وأسرع إليه أحد رجال (مارسيل)، يستقبله في حرارة، هاتفاً:

— مرحباً بك أيها الزعيم .. كل شيء هنا على ما يرام .  
تجاهله (أدهم)، وهو يتقدم نحو مصعد البناية الكبير، ثم لم يلبث أن توقف، وهو يقول للرجل:  
— مَرَّ كل الرجال بالتجمع هنا، حتى أصدر إليكم أوامر أخرى ..

سأله الرجل في دهشة:

— حتى هؤلاء الذين يقومون على حراسة شقة مدموازيل (برجيت) في أعلى .

أجابه (أدهم) في صرامة واقتصاب:  
— الجميع .

ثم دلف إلى المصعد، وأغلقه خلفه، ووقف داخله

هادئاً، وهو يصعد به إلى الطابق العلوي، حتى منزل (سونيا)، حيث توقف، وغادره (أدهم)، واتجه في خطوات سريعة إلى باب المنزل، وقرع الجرس في هدوء، ولم تمض لحظات حتى فتحت (سونيا) الباب، وتطلعت إليه في خفق، وهي تقول:

— ماذا يعني كل هذا يا (مارسيل)؟ لماذا أمرت كل رجالك بالتخلي عن حراستى، والانتظار أسفل البناية .  
دفعها (أدهم) عن طريقه في خشونة، وتقدم إلى المنزل، وأغلق بابَه خلفه، وهو يقول في برود:  
— إنك تقيمين في (الشانزليزيه) يا عزيزتى (برجيت)، ولن يجرؤ (أدهم صبرى) على اقتحام منزل أنيق، في أشهر أحياء (باريس) .

لوحث بذراعيها، وهي تقول في خفق:

— هل ينبغي أن ألقى نفسى من الطابق العاشر، حتى تقع بأن (أدهم صبرى) لا يتردد عن اقتحام منزل رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه؟

ارتجف جسدها في رعب هائل، حينما استعاد (أدهم) صوته الأصلي، وهو يقول في سخرية:

— لا داعي لذلك يا عزيزتي ( سونيا ) ، إنني أصدقك .  
تراجعت ( سونيا ) ، واتسعت عيناها في رُعب ، وهي  
تحدق في أدلى ( أدهم ) ، وتنفث في صوت مختق :  
— إذن فهو أنت !!.. كان ينبغي أن أتوقع ذلك .. كان  
ينبغي أن .....

وبترت عبارتها فجأة ، وهي تقفز نحو باب منزلها ، محاولة  
الفرار ، ولكن ( أدهم ) جذبها من شعرها الأشقر الطويل في  
قوة ، جعلتها تصرخ ألما ، وهو يقول في هدوء وسخرية :  
— كلاً يا عزيزتي ( سونيا ) .. لست أنوي ممارسة لعبة  
الاستخفاء والفرار هذه الليلة .

استدارت إليه ( سونيا ) في شراسة ، وطوّحت بقدمها  
لتركه ، في واحدة من حركات رياضة ( الكاراتيه ) ، ولكنه  
قفز إلى الخلف ، متخليًا عن شعرها ، وهو يضحك قائلاً :  
— ولست أرغب في مزاوله هذه الرياضة أيضًا .

زجرت ( سونيا ) في وحشية ، بدت شديدة التناقض مع  
لفتها ، وانقضت عليه ، وهي تهوى على عنقه بضربة قوية من  
راحتها ، ولكنه تلقى الضربة على ساعده في بساطة ، ثم دار  
على عقبه في مڑونة ، وغاص جسده إلى أسفل ، متفادياً ضربة

أخرى في براعة ، ثم انتصب فجأة وصفع ( سونيا ) على وجهها  
صفقة قوية ، ألقتها ثلاثة أمتار إلى اليسار ، وهي تصرخ في ألم ،  
وأرادت أن تنهض في سرعة ، ولكنها فوجئت بـ ( أدهم ) يكبل  
معصمها بقبضتيه ، ويلوى ذراعيها خلف ظهرها في قوة ، وهو  
يقول في سخرية :

— معذرة يا عزيزتي ( سونيا ) ، إنني أكره استخدام القوة  
مع النساء . ولكنني مضطر لتقييد معصميك ، وتكليم فمك  
الجميل .

قاومت ( سونيا ) في شراسة ، وهي تصرخ في حق  
ومرارة ، وحاولت أن تميل بجسدها لترك كل وجه ( أدهم ) ،  
ولكنه أرجع رأسه إلى الوراء متفادياً ركبتها ، وهو يقول  
ضاحكاً :

— محال يا عزيزتي ( سونيا ) .. إنني أزالول رياضة  
( الكاراتيه ) قبل أن تلدك أمك ، ومحاولاتك تبدو لي  
مضحكة .

شعرت بعجزها عن مقاومته ، وهو يقيد معصمها في قوة  
بجمل غليظ ، فقفزت دموع المزعجة من عيناها ، وهي تصرخ  
في سُخْط ومَرارة :

— أيتها الحقير .. أيتها الوغد .  
 ابتسم في سُخْرِيَّة ، وهو يتنقل ليقيد قدميها ، قائلاً :  
 — ليس من اللياقة أين يسب المرء فائدة مثلك يا عزيزتي  
 ( سونيا ) ، على الرغم من فظاظة ألفاظك .  
 صاحت في سخط :  
 — لن يسمح لك ( مارسيل ) بالفرار ، بعد أن انتحلت  
 شخصيته .  
 نهض بعد أن انتهى من تقييد قدميها ، وابتسم وهو يقول  
 ساخراً :  
 — لقد انتهى ( مارسيل بيكر ) يا عزيزتي ( سونيا ) ..  
 ستلقى الشرطة الفرنسية القبض عليه ، بعد أن يتسلم النائب  
 العام هنا كل المستندات التي تُدينه .. وأراهنك أن القضاء  
 الفرنسي سيضطر للحكم بإعدامه بالمقصلة ، ما دامت  
 لا توجد عقوبة تفوق ذلك .  
 اتسعت عينا ( سونيا ) في دُعر وذهول وألم ، وهي تهتف :  
 — يا للشيطان !!  
 ابتسم ( أدهم ) وهو يقول :  
 — إنه ثمن عادل يا عزيزتي ( سونيا ) ، فلقد ارتكب هذا



شعرت بعجزها عن مقاومته ، وهو يقيد معصمها في قوّة  
 بجمل غليظ ، فلفزت دموع الهزيمة من عينيها ..

الوغد من الجرائم ، ما ينقل ضمير أمة باكملها ، دون أن يدفع  
الذم مرة واحدة .

واختفت ابتسامته ، وهو يردف في صرامة :

— أما أنت يا عزيزتي ( سونيا ) ، فلقد أعددت لك نهاية  
أكثر أناقة .

حدثت ( سونيا ) في وجهه في رُعب ، واختفت الكلمات  
في حلقها ، فلم تنبس بحرف واحد ، في حين استطرد هو في  
برود :

— سيتلقى مكتب مكافحة الجاسوسية الفرنسي ، بعد  
نصف ساعة فقط ، كل الوثائق التي كان يحتفظ بها مكتبنا هنا ،  
والتي تثبت أنك واحدة من أفراد ( الموساد ) ، والتي تثبت  
أيضا تورطك في عملية ( موسكو ) ، وأعتقد أنها ستكون  
لللقاء القبض عليك ، ومحاكمتك بتهمة التجسس في  
( باريس ) ، خاصة حينما تكشف الوثائق أنك تقيمين هنا باسم  
مزور وشخصية مزيفة .

هتفت في صوت مختنق :

— ولكنني لم أغد أنني لـ ( الموساد ) .

هز كفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— عليك أن تبذل أقصى جهدك ، لإثبات ذلك يا عزيزتي  
( سونيا ) .. فسيحتضرك رجال مكتب مكافحة الجاسوسية  
اعتصامًا .

طفرت الدموع من عينيها غزيرة ، وهي تقول :

— أيها الشيطان !

عاد يهز كفيه في لامبالاة ، ثم أخرج من جيبه بخاخة  
صغيرة ، وهو يقول :

— إنني أخشى بالطبع أن تعمدى إلى الفرار ، قبل وصول  
رجال مكتب مكافحة الجاسوسية :

لذا فقد استعرت هذه البخاخة الأنيقة من صديقك  
( مارسيل ) ، وأظن أنها ستكون كافية .

ثم دفع رذاذ المادّة المخدّرة القويّة في وجهها ، ورأى رأسها  
يسقط على صدرها ، فابتسم في هدوء ، وهو يقول :

— والآن استعدّي يا عزيزتي ( كلوديا ) .. لقد حان  
دورك .

\*\*\*

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت بعد نصف الساعة الأول من اليوم الجديد ، حينما وصل ( أدهم ) ، في سيارة وهينة ( مارسيل بيكر ) ، إلى ذلك القصر النيف في قلب ( باريس ) ، الذي تُقيم فيه المليونيرة الفرنسية ( كلوديا موريس ) ، وفي هذه المرة كانت تتبعه سيارة ( ليموزين ) سوداء ضخمة ، تكسب بما يفوق سعتها من ركاب ، وتعمل فوقها حقية جلدية كبيرة ..

وأسرع إليه حارس البوابة ، وهو يهتف في حرارة امتزجت بها بعض الدهشة :

— مرحباً أيها الزعيم .. ما الذى .....؟

وتر عبارته فجأة ، حينما لاح له أنه من الخطأ أن يسأل زعيمه ، عن سبب قدومه ، فعاد يكرّر في غمغة خافتة :

— مرحباً أيها الزعيم .

تطلّع إليه ( أدهم ) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

— اجمع الرجال ، وليشد الجميع إلى القِلا ، انتظروا

لأوامرى .

ارتفع حاجبا الرجل ، واتسعت عيناه في دهشة . وهو يهتف :

— هل تتخلّى عن جِراسَةِ القصر أيّها الزعيم ؟

أجابه ( أدهم ) في لهجة غاضبة صارمة :

— أسمع ما أمرك به ، أم أن الحُمور الرديئة ، التى

اعتدت تناولها قد أفسدت سمعك ؟

حدّق الرجل في وجهه ببلاهة ، وقد أدهشه أن الزعيم

لا يعلم أن الأجر الضخم ، الذى يمنحهم إيّاه ، يكفّهم لتناول

أفخر أنواع الحُمور ، وأغلاها ثمنا ، ولكنه عقد حاجبيه ، وهو

يغمغم :

— كما تأمر أيّها الزعيم .

ثم عاد يستدرك ، وهو يشير إلى ( الليموزين ) :

— وماذا عن هؤلاء ؟

أجابه ( أدهم ) في صرامة :

— سيدخلون معى .

اعتدل الرجل وهو يقول :

— كما تأمر أيّها الزعيم .

انطلق ( أدهم ) بسيّارته إلى حديقة القصر ، وتبعه

( الليموزين ) السوداء بركابها ، فيما تابع حارس البوابة  
السيارتين في خيرة ، وسأله زميله في فضول :

— من هؤلاء ، الذين يصخبون الزعيم ؟  
غمغم الحارس في خنق :

— يبدو أنهم طاقم الجراسة الجديد .. يلوح لي أن الزعيم  
لم يعد يتق بقدراتنا .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف بمزيد من الخنق :

— هيا .. اجمع الرجال ، سنغادر هذا المكان اللعين ، كما  
أمر الزعيم ، وإلا صب جام غضبه علينا ، إذا ما عاد فوجدنا  
هنا .

\*\*\*

عقدت ( كلوديا ) حاجبها في دهشة وخيرة ، حينما أخبرها  
خادمها ، وهو ينحن أمامها انحناء كبيرة ، أن ( مارسيل  
يكر ) يريد رؤيتها ، ولكن هذا لم يمنعها من أن تشير إلى الخادم  
في غطرسة ، ليخبر ( مارسيل ) أنها تنتظره ، وأشعلت  
سيجارتها ، وملأت كأسها بـ ( الكونياك ) المفضل لها ،  
وتعمّدت فوق أريكة وثيرة ، تنفث دُخان سيجارتها ، وتطلع  
إلى باب حجرتها في ترقب ، حتى لاح لها وجه ( أدهم ) ، وهو

يتحمل شخصية ( مارسيل ) ، فرسخت على شفيتها ابتسامة  
رقيقة ، لم تنجح في إخفاء قلقها ، الذي بدا واضحا في صوتها ،  
وهي تقول :

— مرحبا يا عزيزي ( مارسيل ) .. كيف حالك ؟ .. آية  
رياح طيبة أتت بك إلى هنا ؟

تقدم ( أدهم ) في هدوء ، ليجلس على المقعد المجاور لها ،  
واتنزع من كفيه ذلك القفاز الجلدي القصير ، وهو يقول في  
سخرية :

— لقد انتابني فجأة رغبة ملحة في رؤيتك يا عزيزي  
( كلوديا ) ، ودفعني الشوق إلى رؤيتك الآن .

تطلعت إليه ( كلوديا ) في دهشة ، ثم لم تلبث أن عقدت  
حاجبها ، وهي تقول في صرامة :

— اسمع يا ( مارسيل ) .. إنني أختلف تماما عن  
( جوزفين ) ، ولو أنك تتصور أنني سأقبل حلولي محلها فأنت  
واهم .

اجسم ( أدهم ) ، وهو يقول في سخرية :

— أعلم ذلك يا عزيزي ( كلوديا ) ، فأنت تختلفين عن  
الجميع .

حدثت (كلوديا) في وجهه في خيرة ، ثم اعتدلت  
جالسة ، وهي تسأله في قلق :

— (مارسيل) .. لم تبدو مختلفًا هذا المساء ؟  
استعاد (أدهم) صوته الأصلي ، وهو يقول متهمًا :  
— لأننى ببساطة لست ذلك الوغد (مارسيل) يا عزيزتى  
(كلوديا) .

قفزت (كلوديا) من على الأريكة في ذهول ، واتسعت  
عينها عن آخرها ، وهي تحدق في وجه (أدهم) ، الذى انتزع  
ذلك القناع ، الذى يحمل ملامح (مارسيل) ، وألقاه جانبًا في  
ازدراء ، قبل أن يقول في سخرية :

— هل أدهشتك رؤيتى يا عزيزتى (كلوديا) ؟  
ظلت (كلوديا) تحدق في وجهه بمزيج من الدهول  
والرعب ، قبل أن تهتف في صوت مرتجف :  
— مستحيل !.. لقد جعلك ذلك القناع نسخة طبق  
الأصل من (مارسيل) ، ولكن صوتك هذا مستحيل !!

هزّ (أدهم) كفيه في هدوء ، وهو يقول :  
— لقد استغرقت ثلاثين عامًا كاملة ؛ لأكسب حنجرتى  
هذه المرونة الصوتية يا عزيزتى (كلوديا) ، ولكنى أشعر فى  
الكثير من المواقف ، أن هذا التدريب الشاق لم يذهب سدى .

التقطت (كلوديا) أنفاس سيجارتهما بأصابع مرتجفة ،  
وحاولت أن تتظاهر بالهدوء والثقة ، وهي تقول في لهجة  
تخمل صيغة الإنذار والوعيد :

— هل تعلم (مارسيل) أنك تتنحل شخصيته ؟  
ابتسم (أدهم) ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو  
يقول في هدوء :

— هذا لم يعد يهم .. لقد انتهى (مارسيل بيكر) تمامًا .  
الست عيناها في رعب وذهول ، وهي تهتف :  
— هل .. هل قتلته ؟

مطّ شفتيه ، وهزّ كفيه في لامبالاة ، وهو يقول :  
— إننى أكره إرافة الدماء يا عزيزتى (كلوديا) .. كل  
ما فعلته هو أننى سلّمت كل المستندات التى تدينه إلى النائب  
العام هنا ، وهم يقتحمون قيلته الآن ، وأعتقد أن عقوبته لن  
تجاوز الإعدام بالمقصلة .

ازداد ارتجاف أصابع (كلوديا) ، وشعرت أنها باتت  
عاجزة عن التقاط أنفاس سيجارتهما ، وهي تغمغم في صوت  
مختنق :

— وماذا عن (برجيت) ؟

أجابها ( أدهم ) في هدوء شديد :

— لم يقد باقيا سواك يا عزيزتي ( كلوديا ) .

انقل ارتجاف أصابع ( كلوديا ) إلى جسدها كله ، وهي تتطلع إليه في توثر ، قبل أن تقول في عصبية :

— اسمع يا ميسو ( أدهم ) .. لقد كنت شديدة الخرص والحدّر منذ البداية ، ولن تجد دليلا واحدا يدينني ، أو يربط بيني وبين ( مارسيل ) أو ( برجيت ) ، فحتى الأموال التي كانت تحصل عليها هذه الأخيرة من مؤسستي ، كانت تصرف بتوقيع ( جوزفين ) وليس بتوقيعي ، ويمكنني أن أدعي أنني لم أكن أعلم هذا .

قال ( أدهم ) في هدوء :

— لست أحتاج إلى أدلة يا عزيزتي ( كلوديا ) .

تضاعفت عصبيتها ، وهي تقول :

— لا بأس .. أنا سيّدة أعمال .. دعنا نتحدث بأسلوب

تجاري بحث .. إنني على استعداد لدفع مبلغ .....

قاطعتها ( أدهم ) في برود :

— إنني أرفض .

هتفت في جلبة :

— حتى ولو كان المبلغ يحمل سبعة أصفار إلى يمينه ؟

ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

— حتى ولو أضافنا الأصفار من كل جانب .

بلغت عصبيتها ذروتها ، وهي تصيح :

— ماذا تريد إذن ؟

ظّل ( أدهم ) صامتا لحظة ، ثم مال نحوها ، وهو يقول

في هدوء مثير للأخصاب :

— ماذا فعلت في أثناء زيارتك لمصر يا ( كلوديا ) ؟

حدقت ( كلوديا ) في وجهه لحظة ، ثم اعتدلت ، ونفثت

دخان سيجارتها في عصبية ، وهي تقول :

— هل يمكنني اعتبار السؤال هو بداية المساومة ؟

عاد يكرّر سؤاله في مزيد من الصرامة :

— ماذا فعلت في ( مصر ) يا ( كلوديا ) ؟

هتفت في جلبة :

— لن يُمكنك محاكمتي في ( فرنسا ) ، بتهمة التجسس

على ( مصر ) ، وإذا أردت أن أعبرك بما فعلته في ( مصر ) ،

فينبغي أن تعدني بأنك لن تحاول إرسالني إلى هناك لمحاكمتي .

ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

## ١١ - إلى (موسكو) مع تحياتي ..

لم يكد ذلك الفرنسي يغادر بهو الفندق الفاخر ، في قلب ( القاهرة ) ، وهو يحمل في جيبه تلك القداحة الذهبية ، التي تحوى الميكرو فيلم ، حتى استوقفه النقيب ( مدحت ) ، وهو يسأله في هدوء ، وبفرنسية سليمة :

— هل أجد لديك ما أشعل به سيجارتي ياسيدى ؟

ابتسم الفرنسي ، وهو يقول في هدوء :

— لا للأسف .. إننى لا أحمل قداحة ، أو أعواد ثقاب .

رفع ( مدحت ) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— عجباً !! كنت أظنك تحمل قداحة ذهبية أنيقة ،

تحوى ميكرو فيلم دقيقاً ، يمثل بصور بعض التصميمات الحريية السرية .

لم ينتظر الفرنسي ليتم ( مدحت ) عبارته ، بل اندفع بمحاول الفرار ، بعد أن أيقن أن أمره قد كشف ، ولكن ( مدحت ) كان أسرع منه ، فقد وضع قدمه في طريقه ، ولكمه على مؤخرة عنقه في قوة ، ليتيح له السقوط على نحو أكثر سرعة .. ولم يكد الفرنسي بمحاول النهوض ، حتى فوجئ بقوّهات المسدّسات

— أعدك يا ( كلوديا ) .

تسلّل الأمل إلى نفسها ، فعادت تهتف :

— وأن تبعد عن طريقى ، ولا تحاول تسليمى للشرطة

الفرنسية ، أو قتلى .

عاد يقول في هدوء :

— لك هذا أيضاً .

زفرت في ارتياح ، وقالت :

— حسناً .. لقد ذهبت إلى ( مصر ) ، لأزرع جاسوساً

خاصاً وسط صفوفكم .

عقد حاجبيه في اهتمام ، وهو يقول :

— في أى موقع ؟ وما اسمه ؟

نفثت دخان سيجارها ، وهى تقول :

— لم يقد هناك مجال للتراجع .. سأخبرك .. سأخبرك بكل

التفاصيل .

\*\*\*



والمدافع الرشاشة تحيط به ، وسمع ( مدحت ) يقول في هدوء  
ساخر :

— والآن .. هَلَا تَكْرُمْتِ بمنحى تلك القذاحة الأنيقة ،  
إننى أنوى الاحتفاظ بها ككذكار لِّلقائنا المؤثر .  
رفع الفرنسي ذراعيه في رُعب ، وهو يتف :  
— سأخبركم بكل شيء .. إننى مجرد وسيط .. أقسم  
لكم .. سأخبركم بكل شيء .

\*\*\*

انتظر الجاسوس الذى يتحل شخصية اللواء ( حسن  
الغندور ) بعض الوقت ، قبل أن يطوى صحيفته ، ويضعها  
فوق المنضدة ، ثم ينهض استعدادا للصعود إلى حجرته ، حيث  
يحفظ زميله ، الذى يتحل صفة طبيب ، باللواء ( حسن )  
الحقيقى مخدّرا ، انتظارا لِّقدومه ، حيث تبدّل الأدوار ،  
ويعود كلٌّ إلى شخصيته ، ويدّعون أن اللواء ( حسن ) قد فقد  
وعيه فى الفندق ، فى حين يتجه الجاسوس إلى المطار ، ويعود  
إلى ( باريس ) بجواز سفره الحقيقى ..  
ولم يكد الجاسوس بخطو يضع خطواته حتى استوقفه  
شاب هادئ ، باسم الثغر ، وهو يقول فى بساطة :



لم ينتظر الفرنسي ليم ( مدحت ) عبارته ، بل اندفع بمحاول الفرار ،  
بعد أن أثبت أن أمره قد كُشف ، ولكن ( مدحت ) كان أسرع منه ..

— كيف حالك يا سيادة اللواء ، إنك تذكرني .. أليس كذلك ؟

شعر الجاسوس بالضيق ، ولكنه رسم على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— بالطبع .. ولكنني لست أذكر الاسم .....

قاطع له الشاب في هدوء :

— النقيب ( مدحت مختار ) .. لقد عملت تحت رياستك في هيئة التصنيع الحربي .

رفع الجاسوس حاجبيه ، متظاهراً بأنه قد تذكر ( مدحت ) ، وهو يتف :

— نعم .. لقد تذكرت .. كيف حالك يا ولدي ؟

ابتسم ( مدحت ) ، وهو يقول :

— في خير حال يا سيدي .. ولكن هناك أمراً يقلقني للغاية .

عقد الجاسوس حاجبيه ، وهو يسأله :

— أي أمر يا ولدي ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي ( مدحت ) ، وهو يقول :

— أين تحفظ باللواء ( حسن ) الحقيقي ؟  
اختلج قلب الجاسوس في قوة ، إلا أن ملامحه ظلت هادئة ، وهو يتظاهر بالدهشة ، قائلاً :

— ماذا تعني أيها النقيب ؟ .. أنا اللواء ( حسن الغندور )

الحقيقي .

أطلق ( مدحت ) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

— لا داعي لإضاعة الوقت في مهاترات لا طائل تحتها أيها الرغد .. لقد كانت خططكم بالغة الإحكام ، ولكن السيدة زوجة اللواء ( حسن ) الحقيقي كشفت أمرك ، حينما خاطبتها بلقب ( زوجتي الحبيبة ) ، ذلك اللقب الذي لم يفتد زوجها مخاطبتها به أبداً ، ولقد أوقعت بك تلك السيدة الفاضلة ، حينما سألتك ما إذا كنت تريد تناول قدح القهوة كالمعتاد ، فلمّا أجبتها بالإيجاب أيقنت أنك لست زوجها ، وأسرعت تتصل بنا وتبلغنا بالأمر ، ففهمنا اللجة على الفور ، واتخذنا أهباً لإلقاء القبض عليك .

ولم يستطع منع نفسه من إطلاق ضحكة أخرى قصيرة ، قبل أن يستطرد :

— لقد فشلت تحرياتكم في معرفة نقطة بالغة الأهمية أيها

الوغد ، وهى أن اللواء ( حسن ) الحقيقى لا يتناول القهوة قط .

استعت عينا الجاسوس فى دُعر ، وقد أتقن أن رتبة ينس مصرية عادية قد أوقعت به ، وحطمت حطة مُحكمة ، ضحى من أجلها بوجهه ، ليخجل إلى الأبد وجه اللواء ( حسن ) ، وجفت الدماء فى غروقه ، وهو يواصل الاستماع إلى ( مدحت ) ، الذى أردف فى هدوء :

— ولم يعد بإمكانك الإنكار ، أو حتى الفرار ، فلقد ألقينا القبض على الرجل الذى سلمته قداحتك الذهبية ، التى تحوى الميكروفيلم ، ولدينا شريط قيديو أنيق ، يحوى تفاصيل استبدال القذاختين بالصوت والصورة ، والفندق محاصر برجال الشرطة والمخابرات ، ولديهم أوامر مباشرة بإطلاق النار عليك فى مقتل ، عند أول بادرة لمحاولة فرار .. أتعب أن تستسلم فى هدوء ، أم ننقل جثتك إلى مقابرنا بعد معركة قصيرة ؟

أطرق الجاسوس برأسه فى استسلام ومذلة ، وهو يفهم فى فرازة :

— لقد قلنا بنفسك .. لا داعى لإضاعة الوقت .  
ثم أردف فى لهجة تحمل قطارا من الدموع :  
— إننى أستسلم ، وسأخبركم بكل شيء .  
\*\*\*

استمع ( أدهم ) فى إعجاب إلى حديث مدير المخابرات المصرية ، وهو يقص عليه ، غير هاتف ( كلوديا ) الدولى الخاص ، تفاصيل إلقاء القبض على الجاسوس ، ثم ابتسم وهو يقول :

— عملية رائعة يا سيدى .. قدّم عيشاى إلى ( مدحت ) ، وسأهنته بنفسى حين عودتى .  
ثم وضع السماعة ، والتفت إلى ( كلوديا ) ، قائلاً فى سخرية :

— لم يكن لا عترافك جذوى يا عزيزتى ( كلوديا ) .. لقد ألقوا القبض على ذلك الوغد فى ( القاهرة ) منذ ساعة واحدة .  
عقدت حاجبيها ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصية ، قائلة :

— لقد وعدتني .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

— بالطبع يا عزيزتى ( كلوديا ) .. لقد وعدت بألا أحاول إرسالك إلى ( القاهرة ) ، أو إبلاغ الشرطة الفرنسية ، أو تعقبك على أى نحو ، وأنا رجل أبقى بوعدى .  
ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى ( كلوديا ) ، إلا أن القلق عاد إليها أضعافاً مضاعفة ، حين ارتفع صوت ( أدهم ) ، وهو يتف بعبارة ما ، بلغة لم تفهمها ، واستعت عيناها فى مزيج

من الذعر والدهشة ، حينما دخل إلى حجرتها الخاصة رجل بارد الملامح ، مرتع الوجه ، أشقر الشعر ، ضيق العينين ، أزرقهما ، خدجها بنظرة قاسية ، ألقت الرعب في قلبها ، قبل أن يقدمه إليها ( أدهم ) ، قائلاً في هدوء :

— الكولونيل ( سيرجي كوروبوف ) .. من الد ( كي . ج . في . ) ، وهو يريد أن يستجوبك بشأن عملية ( موسكو ) .. أول عملية قامت بها منظمتكم الخاصة .

تراجعت ( كلوديا ) ، وهي تهتف في رُعب :  
— ليس لدى ما أقوله .. لن أنطق بكلمة واحدة .. ليس لكما الحق في استجوابي في منزلي .

هز ( أدهم ) رأسه ، قبل أن يقول في برود :  
— لقد أخطأت فهمي يا عزيزتي ( كلوديا ) .. إن ( سيرجي ) لا ينوي استجوابك هنا .. إنه سيحملك معه ، في حقبة ديبلوماسية أنيقة ، إلى ( موسكو ) .. مع تحياتي .  
تجلت أبشع صور الرعب على وجه ( كلوديا ) ، وهي تصرخ في صوت مختنق :

— ( موسكو ) ؟! .. كلاً .. كلاً .  
ثم اندفعت نحو النافذة ، وكأنها جال بخاطرهما أن الانتحار

أقلّ ألماً من استجوابها في ( موسكو ) .. ولكن ( سيرجي ) قفز نحوها ، وجذبها من شعرها في قوّة ، جعلتها تصرخ فرغاً وألماً ، ثم انتزع من جيبه حقنة صغيرة ، غرز إبرتها في ذراعها ، ليدفع في جسدها مادة شفافة ..

وتأوّهت ( كلوديا ) في ألم وذعر ، وأخذت تلوح بذراعيها في فرع ، وهي تهتف في صوت متهاك :

— كلاً .. ليس ( موسكو ) .. ليس ( موسكو ) .  
وأخذت تردّد نفس العبارة ، وصوتها يخفت ويتهاك تدريجياً ، حتى سقطت فاقدة الوعي ، بين ذراعي ( سيرجي ) ، من أثر المادّة المخدّرة ، التي حقنها بها ..

وتركها ( سيرجي ) تسقط أرضاً في لامبالاة ، ثم التفت إلى ( أدهم ) ، وسأله في برود :

— شكراً لهديتك أيها الرفيق ( أدهم ) ، ولكنني ما زلت أتساءل : لماذا قذمت إلينا زعيمة ( ملائكة السلام ) على طبق من فضة ؟

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول :

— بل من ذهب يا صديقي .

ثم تنهّد ، واكتست ملامحه بالجديّة ، وهو يُردف :

ذَلَفَ ( أدهم ) إلى ذلك الفندق الفاخر ، الذى يطل على  
برج ( إيفل ) الشهير ، فى قلب ( باريس ) ، وهو فى هيئة  
الإنجليزية الوقور .. ولم يكد موظف الاستقبال يلمحه ، حتى  
هتف به فى احترام :

— مرحبًا ياسير ( إدوارد ) .. لقد وصل مسكيتوك  
الخاص ، وأعطاني جواز سفرك ، وهو ينتظر فى قاعة  
الطعام .

ثم ناول ( أدهم ) جواز سفر بريطانيًا ، وهو يردف فى  
احترام :

— هاك الجواز ياسيدى .. لقد نقلت كل البيانات  
المطلوبة .

تناول ( أدهم ) جواز السفر ، وهو يفهم فى هدوء :  
— شكرًا لك ..

ثم أسرع الخطأ إلى قاعة الطعام ، واجسم وهو يتطلع إلى  
رجل بالغ البدانة ، انهمك فى التهام إبطار دسم فى شراة  
واضحة ، واقرب منه ، ليضع يده على كتفه قائلاً :

— يحبك أن تقول إننى رجل يحب أن يسدد ديونه أولاً  
فأولاً ، ويكره الوسائل التقليدية المألوفة .  
جدجه ( سرجى ) بنظرة متشككة ، ثم عاد يسأله ببرودة  
التقليدى :

— سؤال أخير أيها الرفيق ( أدهم ) .. كيف عثرت على  
على الرغم من مغادرتى سفارتنا بعد لقائنا الأخير فيها ؟  
ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى ( أدهم ) ، وهو  
يقول :

— معذرة أيها الرفيق ( سرجى ) .. لن يمكننى كشف  
وسائل مخابرات وطنى السرية أبداً .  
وفاضت كلماته بالعزم والقوة ، وهو يردف فى اعتزاز :  
— أبداً .

\*\*\*



— مرحبًا بك في (باريس) يا عزيزي (قدري) .  
كفّ (قدري) عن التهام طعامه ، وهزلت أساريه وهو  
يهتف :

— كيف حالك يا صديقي ؟

جلس (أدهم) إلى جواره ، وضحك وهو يقول في مرح :

— هل أعجبك طعام (باريس) ؟

فهقه (قدري) ضاحكًا ، على نحو ألقى كل رؤاد قاعة  
الطعام ، وهو يقول :

— إنها تعويض كافٍ عن انتزاعهم لي من فراشي بعد  
منتصف الليل ، حتى أفرغ إليك يا صديقي العزيز .

فتح (أدهم) جواز السفر ، وألقى نظرة على الصورة التي  
تزئنه ، والتي تبدو مماثلة لهيئته الحالية تمامًا ، ثم قلب صفحاته  
لتطالعها تأشيرة مزورة بإتقان بارع ، لدخول الأراضي  
الفرنسية ، وأخرى حقيقية للسفر إلى (مصر) ، ثم عاد  
يغلقه ، ويدسه في جيب معطفه ، وهو يقول في إعجاب :

— عمل رائع يا صديقي .. إنك تمتلك حقًا أصابع ذهبيّة .

هزّ (قدري) كفيه في لامبالاة ، وعاد لالتهام طعامه في  
شراهة ، وهو يقول :

— إنه عمل بالغ البساطة يا صديقي ، فأنت تتحل  
شخصية سبق لك انتحائها ، وكنت احتفظ ببعض الصُّور  
الواضحة لك في هذه الهيئة ، ثم إن مكتبي يحوى جوازات سفر  
لكل الجنسيات ، وتأشيرات واضحة لدخول كل ذُول العالم ،  
ولم يستغرق الأمر مني أكثر من نصف الساعة ، لأصنع الجواز  
المطلوب .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول في إعجاب :

— يالك من عبقري متواضع يا صديقي !!

عاد (قدري) يهزّ كفيه في لامبالاة ، ثم سأل (أدهم)  
في اهتمام :

— كيف حال مهمّتك ؟.. هل نجحت ؟

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول في ارتياح :

— نعم يا صديقي .. لقد انفرط عقد (ملائكة الجحيم)  
إلى الأبد ..

\*\*\*

ظنّت (منى) صامته طوال الطريق إلى (القاهرة) ، حتى  
سأها (أدهم) مبتسمًا ، حينما دخلت الطائرة الأجواء  
المصريّة :

— ماذا بك يا عزيزتى ؟

أجابته فى صرامة :

— غاضبة .

ضحك ، وهو يقول :

— لماذا ؟

التفت إليه لتقول فى خفق :

— لأنك أهملتى تمامًا فى الجولة الأخيرة من العملية ،

وقمت بالعمل كله وحدك ، ودون مشاركتى .

رئت على كفها فى خنان ، وهو يقول :

— مغيرة يا عزيزتى .. كنت أعلم أن هذا سيثير

حفيظتك ، ولكننى أقسمت لنفسى قبل أن أفر من السجن

ألا ألبأ لأية معاونة ، حتى أوقع بآخر فرد من ( ملائكة

الجحيم ) .

قالت فى غضب :

— وماذا عن ( قدرى ) ؟ .. ألم يأت لك بجواز السفر

البريطانى الذى جعلك تنجح فى العودة إلى ( القاهرة ) ، بينا

كل رجل شرطة فى ( باريس ) يبحث عنك ؟

ضحك وهو يقول :

— كنت قد انتهت من المهمة حينذاك يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

— لا تحاول خداعى .

ابتسم فى وُد ، وهو يتطلع إليها ، قائلاً :

— لقد انتهت المهمة بنجاح يا عزيزتى ، وهذا هو المهم .

ثم أردف ضاحكاً :

— ثم إن حديثنا سيوقظ صديقنا ( قدرى ) ، وهو قد ظل

مستيقظاً طيلة الليل ، حتى يصل بالجواز إلى ( باريس ) مع

الفجر .

ابتسمت لدعابته ، وصمت لحظة ، قبل أن تسأله فى رقة :

— كيف تتوقع عناوين الصحف الفرنسية غدا ؟

هز كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— القبض على ( مارسيل بيكر ) .. قضية الجاسوسية

الخاصة بـ ( برجيت فرانسوا ) .. واختفاء المليونيرة ( كلوديا

موريس ) .

غمغمت ( منى ) فى إشفاق :

— مسكينة ( كلوديا ) . .

تنهد قبل أن يقول فى هدوء :

— لقد نالت ما تستحق يا ( منى ) ، وهذا أقل جزاء ، لمن

يهدد أمن ( مصر ) .

\*\*\*

اجتمع عدد من الملازمين الأوائل بشباب مدنية ، في فناء تلك المدرسة القديمة ، المعروفة على مستوى القادة باسم ( مدرسة المغايرات ) ، ومال أحدهم على أذن رفيقه ، يهمس في لهفة واهتمام :

— هل تعلم من سيلقى محاضرة اليوم ؟

دفعت الלהفة الواضحة في عينيه وصوته زميله إلى أن يسأله في شغف :

— مَنْ ؟

أجابه الأول في هجة تشف عن حظورة الأمر :

— المقدم ( أدهم صبرى ) .

اتسعت عينا زميله ، وهو يحف في دهشة :

— الأسطورة ؟!

أجابه زميله بإيماءة من رأسه ، فعاد يقول في دهشة :

— ولكن متى عاد من مهمته ؟.. لقد كانوا يقولون إنها

مهمة بالغة الخطورة ، ومن المستحيل أن يكون قد أنهاها في أقل من أسبوع .

تألفت عينا زميله في إعجاب ، وهو يقول :

— لا يوجد مستحيل بالنسبة لرجل مثل المقدم ( أدهم

صبرى ) .

بدا الشك في عيني الآخر ، وهو يغمغم :

— لكل إنسان قدرات محدودة ، مهما بدت فائقة .

هتف زميله :

— أراهنك أنه ما من مخلوق يمكنه تقدير قدرات المقدم

( أدهم صبرى ) .

ثم تألفت عيناه في إعجاب ولهفة ، وهو يشير إلى البوابة ،

مستطردًا :

— لقد وصل .

اتجهت عيون الجميع نحو سيارة بسيطة من الـ ( نصر ١٢٨ )

تعبر فناء المدرسة ، لتستقر في هدوء إلى جانب الحافلة ، التي

تحضر الجميع إلى المدرسة القديمة ، وتعلقت عيون الجميع

بالرجل الوسيم ، الممشوق القوام ، العريض المنكبين ، الباسم

الثغر ، الذى هبط من السيارة ، وهو يقول في هدوء :

— صباح الخير يا رجال .

أجاب الجميع تحيته في توقير واحترام ، وتبعوه إلى قاعة

المحاضرات الفاخرة ، التي يتنافس مظهرها على نحو واضح

كبير ، مع مظهر المدرسة القديمة المتهاكة من الخارج ، واستقر

هو خلف مائدة الشرح ، وابتسم وهو يقول :

— مُحَاضِرُكُمْ الْيَوْمَ هُوَ الْمُقَدِّمُ (أدهم صبرى) ، ومحاضرة  
اليوم ستجد طريقها إلى قلوبكم فى يسر وسهولة ، فهى تحيا  
فى أعماق كل منكم ، وهى اغرُك الأول لكم .  
وابتسم وهو يردف :

— إنها محاضرة عن الحب .  
هتف بعضهم فى دهشة :

— الحب ؟!

امتلاء صوت (أدهم) بكل الحب ، والفخر ، والاعتزاز ،  
والزُّهو ، والخمَّاس ، وهو يجيب :  
— نعم يارجال .. إنها محاضرة فى حُبِّ ( مصر ) .

\*\*\*

[ تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ ]



د. نيل فاروق

**رجل  
المستحيل  
سلسلة  
روايات  
بوليسية  
لشباب  
زاهية  
بالأحداث  
المثيرة**



الشن في مصر

وما يعادله بالدولار  
الأمريكي في سائر  
الدول العربية  
والعالم

- هل يتجح رجال (مارسيل بيكر) ،  
ملك العصابات ، في قتل (أدهم  
صبرى) ، في سجن (باريس) ؟
- كيف تكون الجولة القادمة ، بين  
الغابرات المصرية ، و (ملائكة  
البحيم) ؟ .. وهل يتجح جاسوس  
(ملائكة البحيم) ؟
- لرى من يحوز النصر في هذه المعركة ؟ ..
- الغابرات المصرية أم (الجاوس) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لرى كيف يعمل  
رجل المستحيل ..



**العدد القادم : تحت الصفر**